المصدر المؤول

بحث في التركيب والدلالة

د. طه محمد الجندي

الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

المصدر المـــــــؤول

بحث فى التركيب والدلالة

الدكتور
طه محمد الجندى

الناشر
دار الثقافة العربية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله كما يليق بكماله ، وصلاة وسلاماً على محمد وآله ....

وبعد .

فرأيي أن أية دراسة جادة ينبغي أن تعتمد في تفسيرها للمتغيرات اللغوية على ظواهر لغوية محضة، ولذا يجب على الباحث أن ينطلق من المعطيات اللغوية التي تقدمها له مفردات اللغة ، لاقتناعه بأن لكل عنصر لغوي معنى دلاليًا خاصًا به ، وعليه أن يجهد نفسه لإبراز هذا المعنى ، وربطه بشكله التعبيري الخاص به .

وإذا لاحظ الباحث أن اللغة قد اصطنعت للتعبير عن الباب الواحد صيغاً متعددة فإن عليه أن يقتنع بأن لكل صيغة من تلك الصيغ معنى يراد منها ، وهدفاً دلالياً مقصودا فيها ، وسراً وراءها ، ومطلباً تسعى إليه . هذا المعنى ، وذاك السر مرتبط بشكل الصيغة نفسها دون سواها ، مع الإقرار سلفاً بوجود نوع من القربى بين الصيغ المشتركة في أداء المعنى الواحد .

إن الإقرار بوجود هذه القربى بين الصيغ المشتركة لاحظه النحاة العرب القدامى ، وهو الاتجاه نفسه الذي تنادي به النظرية التوليدية والتحويلية Transformational Generative Theory من أن الإحساس بوجود صلة بين هذه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجملة وتلك هو حدس يجب تقعيده ، وقد قادهم ذلك - كما نعلم - إلى الحاجة إلى مفهوم التحويل الذى يقر بإمكان تحويل جملة أو أكثر من جملة أخرى ، وهو ما يسميه النحاة العرب بالعدول عن الأصل ، وهذا المصطلح بخاصة كانت له مكانة ملحوظة عندهم ، وهو بلا شك يتوافق مع القواعد التحويلية فى النظرية التوليدية والتحويلية ، إذ تنظر تلك النظرية إلى اللغة على أنها مكونة من نوعين من الجمل :

النوع الأول : ما يسمى بالجملة النّواة ، وهذه تعمل على إيجادها مجموعة من القواعد التوليدية .

النوع الثانى : الجمل المحولة التى تعمل على إيجادها قواعد المكون التحويلى التى تعمل على شكل الجملة النواة ، إما بالزيادة عليها ، أو بحذف بعض عناصرها ، أو بتغيير ترتيبها ، ولا يتم ذلك كله إلا لهدف دلالى يكون من وراء هذا التحويل .

وفى هذا الصدد لا ينبغى أن نتناسى ما أقره نحويونا القدامى من أن خروج التوكيب عن معهود لفظه مصاحب لخروج المعنى عن معهود حاله .

ومن هذا المنطلق شرعت أعمل فى هذا البحث : المصدر المؤوّل : بحث فى الوصف التركيبى والأسرار الدلالية .

ويأخذ عملى فى هذا البحث منحيين :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأول : عرض للحروف المصدرية ، ووصف تراكيبها ، وذلك لاقتناعى المطلق بأن أكبر خدمة يؤديها الدارسون للغة هى أن يحللوها إلى أقسامها ، حتى تتضح مكوناتها ، فيسهل فهمها واستعمالها .

الثانى : كيفية التحويل إلى المصادر المؤولة ، وبيان العلة أو الغاية من وراء التعبير بهذا النوع من المصادر، دون المصادر الصريحة التى تتصف ببساطتها لدلالتها على جانب الحدث وحده . وفى هذا الصدد حاولت إبراز الجوانب الدلالية ، دون الاقتصار على وصف تراكيبها وصفاً آلياً جامداً ، بل حاولت إلى جانب وصف الظاهر سبر الباطن لكشف العلاقة بين التراكيب فى ظاهرها والجوانب الدلالية القابعة من وراء هذا الظاهر، لاقتناعى التام بأن عزل المعنى عن النحو إساءة له بالغة، إذ يصبح فى تلك الحالة جسما بلا روح .

وقد اهتديت فى بحثى هذا برافدين : أحدهما قديم ، وهو منهج الإمام عبد القاهر فى نظريته للنظم التى أفاض فيها فى ربط المعانى النحوية بمدلولات التراكيب اللغوية ، والفروق بينهما «ذلك أننا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه »[1] .

---

١ - الإمام عبد القاهر الجرجانى .دلائل الإعجاز فى علم المعانى ص ٨٠ ، تصحيح الشيخ/ محمد عبده ، والشنقيطى. جدة ، مكتبة العلم ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والرافد الثانى ، رافد حديث تمثل فيما أفدته من قراءات لى متواضعة فيما كتب عن النظرية التوليدية والتحويلية التى جعلت من صميم أهدافها «القدرة على تقديم التفسير الكافى لكل البنى التركيبية المنتجة فعلاً ، وفقاً للنظام القواعدى للغة»[٢] . كما قررتُ أن من أخص وظائف الدراسة اللسانية رصد التلازم القائم بين المبنى والمعنى ، وفى هذا الصدد ميزت هذه النظرية بين مستويين لوصف البنى التركيبية لأية لغة طبيعية : «أحدهما مستوى البنية السطحية الظاهرة التى تتمثل فى التتابع الكلامى الملفوظ أثناء الأداء الفعلى المنجز . والآخر : مستوى البنية العميقة، وهى البنية الذهنية المجردة التى أوجدت ذلك التتابع الكلامى الملحوظ فى البنية السطحية»[٣] . وقد حاولت فى هذا البحث المزج بين معطيات تلك النظرية ، وعطاء علمائنا القدامى فما زلت أرى أن أى عمل جاد لا يستقيم له أمر إلا إذا انبنى على هذين الرافدين .

الوصف التركيبى للمصادر المؤولة فى العربية :

وعرضنا للوصف التركيبى لهذا النوع من المصادر متسق مع ما نراه

---

٢ - أحمد حسانى . السمات التفريعية للفعل فى البنية التركيبية ، مقاربة لسانية ص ٣ الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ١٩٩٣ م.

٣ - السابق ص ٣ ، ٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

من أن وظيفة الدراسة اللغوية هى رصد السمات المميزة لكل عنصر لغوى على حدة ، وتحديد أنماط وروده فى بيئته اللغوية ولا شك أن نظرة عجلى لهذا النوع من المصادر ترينا أنها مركبة من عنصرين رئيسيين :

الاول : العنصر المصدرى : والعناصر المصدرية كما وردت فى مطولات كتب النحو هى : (أنْ) المصدرية، و (أنّ) المشددة ، و (ما) ، و (لو) ، و (كى) ، واللام .

الثانى : مدخول هذا العنصر المصدرى : وطبقاً للعنصر الثانى يمكننا تفريع الحروف المصدرية إلى صنفين :

أ) وهو الغالب فى معظم هذه الحروف محدد بكون مدخولها المعجمى فعلاً.

ب) وتختص بكون مدخولها المعجمى اسماً ، وهذا النوع خاص بالعنصر المصدرى (أنّ) المفتوحة الهمزة ثقيلة كانت أو خفيفة . و(ما) فى بعض استعمالاتها القليلة ، كتلك التى أشار إليها ابن يعيش فى قوله : يعجبنى ما أنت صانع ، أى صنيعك[٤] .

وإذا ربطنا تلك السمة المميزة لهذين العنصرين بعلامة (±) حيث تشير علامة الإيجاب إلى قبول العنصر لهذه السمة ، وعلامة السلب إلى

٤- موفق الدين يعيش بن على بن يعيش شرح المفصل: ٧٧/٨ بيروت ، عالم الكتب ، دون تاريخ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عدم قبوله إياها نجدها كالتالى :

= (أنّ) تتسم بسمة (+ اسم) .

= (ما) تتسم بسمة (±اسم) . علما بأن العنصر (أنّ) يتسم بسمة خلافية له ، هى سمة (+مؤثر) ، إذ إنها تؤثر فى الاسم بعدها بتحويل حركته إلى العلامة الخاصة بالنصب ، بخلاف (ما) فليست له تلك السمة فى الاسم.

أما باقى العناصر المصدرية المتبقية فكلها تتسم بسمة (- اسم) ، وهى سمة تثبت نقيضها لهذه العناصر ، إذ تتسم بسمة (+فعل) ، ومن ثم فإن (أنْ) المصدرية تتسم بسمة (+فعل) ، ومثلها فى ذلك (كى) ، واللام ، و (لو) . وإذا حاولنا تفريع تلك الحروف المصدرية طبقًا لهذه السمة تبين لنا أن هذه الحروف لاترد بالضرورة ظاهرة قبل الفعل متصلة به ، فمنها ما يكون كذلك، ومنها ما يأتى مضمراً ، وهذا الأخير يمكن تفريعه من حيث حكم الإضمار إلى تفريعين : ما يجب إضماره ، وما يجوز إضماره[٥] . وليس إظهار الحرف وإضماره هو السمة الخلافية الوحيدة التى تختلف تبعا لها هذه الحروف المصدرية ، وإنما هناك سمة خلافية أخرى ترجع أساسًا إلى

٥ - لن أتعرض فى بحثى هذا لمواطن إضمار (أنْ) بقسميها ، فعندي لها تفسير آخر ، سوف أخصص له بحثًا مستقلاً - إن شاء الله تعالى .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تأثير هذه الحروف فى الأفعال التى تتصل بها تأثيراً يترتب عليه تحول فى العلامات الإعرابية فى أواخر تلك الأفعال بوصفها علامة وظيفية منسوبة إلى عنصر لغوى ما ، ومن هذه الناحية يمكننا تفريع تلك الحروف إلى حروف مؤثرة فى الفعل بعدها ، وإلى أخرى غير مؤثرة فيه .

وبربط هذه السمات المميزة للعناصر المصدرية المتصلة بالفعل بعلامة (±) نجدها تتجمع فى الآتى :

= (أنْ) سمتها (± ظاهر) ، (± مؤثر) وقد ترد دون أن تنصب الفعل «إما للحمل على (أنْ) المخففة ، أو على (ما) المصدرية »[٦] .

= (كى) سمتها (+ ظاهر) ، (±مؤثر) .

= اللام سمتها (+ ظاهر) ، (± مؤثر) عند من يرى أن الفعل منصوب بـ (أنْ) مضمرة .

= (لو) سمتها (+ ظاهر) ، (- مؤثر) .

= (ما) سمتها (+ ظاهر) ، (- مؤثر) .

كان هذا عرضًا مجملاً لتلك العناصر المصدرية وأبدأ بعرضها مفصلة مؤثراً فى ترتيبها المنهج الأبجدى ، بدلا من ترتيبها حسب شيوعها فى

---

٦ - رضى الدين محمد بن الحسن الإستراباذى .شرح الكافية : ٢/٢٣٣. بيروت .دار الكتب العلمية ، دون تاريخ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللغة ، إذ يحتم هذا المنهج قيام الباحث باستقراء تام لظواهر المادة اللغوية موضوع الإحصاء ، وقد منعني مساحة البحث ومحدوديته من ذلك والخوف من انصراف الوقت والجهد في الإحصاء عن الغاية التي هدفت إليها من البحث ، كما لم أرد أن أرتبها حسب اتفاق النحاة أو اختلافهم حول كونها حروفا مصدرية ، لأني رأيت أن أنص على ذلك عند الحديث على كلّ عنصر على حدة :

العنصر الأول :(أن) المصدرية :

حديثنا عن هذا العنصر يتوزع بين تحديد السمات الدلالية المميزة للأفعال التي تسبقه وهي التي تكون معه علاقة إسنادية يكون فيها الحرف المصدري مع مدخوله شاغلا لوظيفة الفاعل المحقق لهذه الأفعال ، أو وظيفة المفعول لها. كما يتناول تلك الأفعال التي يتصل بها ، وتزوّل معه بالمصدر .

وللحق فإن من يعرج صوب الضوابط الجوهرية التي وضعها النحاة القدامى لهذا الحرف المصدري يتبين أنهم لم يألوا جهدا في رصد التراكيب اللغوية التي يستعمل فيها ، يستوي في ذلك ما رصدوه في وصف السمات الخاصة بالأفعال التي يدخل عليها ، أم تلك التي تسبقه . أما عن السمات الخاصة بالعنصر الذي يدخل عليه هذا الحرف المصدري فقد اتفقوا على أنه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صالح للدخول على نمط متجانس من الكلمات ، اصطلح على تسميته بالفعل، ماضيا كان ، أو مضارعا ، أو أمرا ، غير أنهم قيدوه فى أشكاله الثلاثة بقيد التصرف ، دون ما عداه من السمات الأخرى ، ويعود ذلك إلى سبب بسيط هو أن هذا النمط من الأفعال هو القادر على أن يشكل مع الحرف المصدرى الركن الاسمى المسمى بالمصدر لأنه «لا مصدر لغير المتصرف»[٧] .

أما العنصر الذى يدخل على الأفعال الجامدة فهو عنصر أخر ، محول عن (أن) المشددة وهى التى تضفى على مدخولها معنى دلاليا زائدا هو التوكيد، وهو ما وضعت أساسا له ، والاسم بعدها عبارة عن ضمير الشأن محذوفا ، والفعل بعدها يشكل عنصرا خبريا عن هذا المحذوف ، وعليه فـ (أنْ) فى مثل قوله تعالى : «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى»[٨] . ليست ما يجرى الحديث عنها هنا ، فهذه يتسم الفعل الداخلة عليه بسمة (+ متصرف) .

ودخول هذا العنصر المصدرى على الفعل المضارع هو موضع أجمع عليه نحاتنا القدامى ، كما أجمعوا أيضا على دخولها على الماضى إلا ابن طاهر

---

٧ - الرضى ، شرح الكافية : ٢٣٣/٢.

٨ - سورة النجم ، آية ٣٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في حكاية ابن هشام في المغنى [٩] . مع الإقراربأنها مع المضارع تؤثر فيه النصب ، بخلاف الماضى الذى لا يقبل التأثر لبنائه . أما اتصالها بالأمر فالأرجح جواز اتصالها به مع الإقرار بإمكانية إفادتها معنى دلالياً آخر هو التفسير وإن كانوا قد مالوا إلى القول بأنها إذا وقعت بعد فعلٍ فيه معنى القول دون حروفه أن تكون مفسرة لا ناصبة ، غير أننا وجدنا نصاً للزمخشرى نسب فيه رأياً لسيبويه يجيز جعلها مصدرية معللاً ذلك بقوله: «لأن الغرض وصلها بما تكون معه فى معنى المصدر ، والأمر والنهى دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال»[١٠].

وقد خالف الرضى هذا الرأى زاعماً بأنه ينبغى أن يفيد المصدر المؤول من (أن) والفعل ما أفاده الفعل تماماً «والمصدر المؤول به (أن) مع الأمر ليس فيه طلب القيام ، بخلاف قولك : أن قم ، ويتبين بذلك أن صلة (أن) لا تكون أمراً ولا نهياً خلافاً لما ذهب إليه سيبويه»[١١] . وفى هذا الصدد

٩- الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصارى المصرى .مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : ٢٨/١ تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، دون تاريخ .

١٠- الإمام محمود بن عمر الزمخشرى. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل: ٣٧٤/٢ . ترتيب وضبط مصطفى حسين أحمد .بيروت ، دار الكتاب العربى ط ٣ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .

١١- الرضى ، شرح الكافية :٣٨٦/٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نسجل مخالفتنا لابن هشام فيما نسبه لأبى حيان من أنه المخالف لجمهور النحـــاة فى وصل (أن) المصـــدرية بالأمـــر ، ونقل فى ذلك عنه دليلين : «أحدهما : أنهما - يقصد (أن) والأمر - إذا قدرا بالمصدر فات معنى الأمر . والثانى : أنهما لم يقعا فاعلاً ، ولا مفعولاً ، لا يصح أعجبنى أن قم ، ولا كرهت أن قم[١٢] .

ومرد عدم موافقتنا لابن هشام مرجعه إلى ما جاء فى البحر المحيط ، فمن يتتبع ما جاء فيه سوف يتبين أن المسألة عنده جائزة ، لا ممتنعة ، وفى هذا الصدد نكتفى بنقل نص واحد عنه يؤكد صحة ما ذهبنا إليه ، يذكر فى معرض تفسيره لقوله تعالى : «أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس»[١٣] ، أنّ (أن) تفسيرية ، أو مصدرية مخففة من الثقيلة ، ثم يقول: «ويجوز أن تكون المصدرية الثنائية الوضع ، لا المخففة من الثقيلة، لأنهـا توصل بالماضى والمضـارع والأمر ، فـوصلت هنا بالأمـر ، وينسـبك منها معه مصدر ، تقديره بإنذار الناس ، وهذا الوجه أولى من التفسيرية ، لأن الكوفيين لا يثبتون لـ (أن) أن تكون تفسيرية[١٤] . وقـد أيد أن تكون (أن) الداخلة على الأمر مفسرة ومصدرية فى آن واحد السهيلى ، و تبعه ابن

١٢- ابن هشام .مغنى اللبيب : ٢٩/١.

١٣-سورة يونس :آية ٢ .

١٤- أثير الدين أبوحيان النحوى .تفسير البحر المحيط : ١٢٢/٥.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ط ٢، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيم فى ذلك قائلين بأنها «إذا كانت تفسيراً ، فإنما تفسر الكلام والكلام مصدر ، فهى إذن فى تأويل المصدر ، إلا أنك أوقعت بعدها الفعل بلفظ الأمر والنهى، وذلك مزيد فائدة ، ومزيد الفائدة لا يخرج الفعل عن كونه فعلاً، ولذلك لا تخرج (أن) عن كونها مصدرية ، كما لا يخرجها عن ذلك صيغة المضى والاستقبال بعدها[١٥] . وإذا كانوا قد قاسوا الشىء على نظيره ، فقد قاسوه على ضده ، ولذا يمكن الحكم بمصدرية (أن) المفسرة بتلك التى تدخل على المضارع المقترن بـ (لا) الناهية ، والنهى ضد الأمر ، وذلك فى قوله تعالى : «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً»[١٦] ، حيث فسر الزجاج بنيتها العميقة بقوله : «أتل عليكم تحريم الشرك»[١٧] .

وقد آثرت نقل هذه النصوص هنا لأثبت من طرف خفى أن علمائنا القدامى كانوا يبنون آراءهم فى المسألة النحوية وفقاً للمعطيات اللغوية

١٥- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلى : نتائج الفكر فى النحو ص ١٢٩ تحقيق الدكتور / محمد إبراهيم البنا . السعودية. دار الرياض للنشر والتوزيع ط ٢ ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤م.وانظر: الإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية . بدائع الفوائد: ١/١٠٣ تحقيق بشير محمد عون .الرياض مكتبة المؤيد ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

١٦- سورة الأنعام .آية ١٥١.

١٧- أبو إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج .معانى القرآن وإعرابه ٢/٣٠٤ تحقيق الدكتور عبد الجليل عبده شلبى .القاهرة .دار الحديث .ط (١)١٤١٤هـ ١٩٩٤ م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المشلة للظاهرة التى يقومون ببحثها ، كما كانوا يقيمون منهجهم على أساس أن اختيار العناصر اللغوية لما جاورها لا يرد مصادفةً أو اعتباطاً ، بل إن كل عنصر منها يأتى فى مواقع محددة بالنسبة إلى العناصر الأخرى ضمن السياق الذى ترد فيه . فهذا الخلاف بينهم كان مبنياً على ورود العنصر اللغوى الذى يلى (أن) المصدرية ، فالمنكرون لجعله فعل أمر استندوا إلى أن فعل الأمر لا يساعد على التأويل بالمصدر حتى لا يتحول الكلام إلى معنى خبرى محتمل للصدق ،والكذب ، وهو ما ينافى معنى الأمر. والمؤيدون لذلك مالوا إلى أنه يمكن الإتيان بالمصدر من الأمر ، وأن التعبير بالأمر إنما كان لهدف دلالى عبروا عنه بمزيد الفائدة، ومزيد الفائدة لا يخرج (أن) عن كونها مصدرية .

نخلص إذن إلى أن العنصر اللغوى الذى يلى (أن) المصدرية هو الفعل المتسم بسمة التصرف ، ماضيا ، كان ، أو مضارعا ، أو أمرا . غير أننا لا نجد فى أقوالهم ضابطا دلاليا لهذه الأفعال ، ويبدو أن ذلك راجع إلى صلاحيتها للدخول على أفعال متباينة الدلالة متعددة المعانى . ولتوضيح ذلك أكثر علينا أن نتجه صوب الضوابط الجوهرية التى وضعها النحاة لفئة الأفعال التى تسبق (أن) المصدرية ، والتى تشكل معها هى ومدخولها علاقة إسنادية يكون فيها المصدر المؤول منهما فى موقع الفاعل المحقق

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للحدث المفاد من العنصر الفعلى السابق. وفى هذا الصدد يقابلنا هذا الزخم المتراكم من أقوالهم ، والتى تفى فى مجموعها ببعض التقييدات الدلالية المحددة لنمط هذا النوع من الأفعال ، ففى مجال التفريق بين (أنْ) و (أنَ) ينصون على أنه لما كانت (أنَ) للتأكيد والتحقق «مجراها فى ذلك مجرى المكسورة ، فيجب لذلك أن يكون الفعل الذى تبنى عليه مطابقا لها فى المعنى ، وأن يكون من أفعال العلم واليقين ، ونحوهما مما معناه الثبوت والاستقرار ، ليطابق معنيا العامل والمعمول ، ولا يتناقضا ... ولا يقع قبلها شىء من أفعال الطمع والإشفاق ، نحو اشتهيت ، وأردت ، وأخاف ، لأن هذه الأفعال يجوز أن يوجد ما بعدها ، وألا يوجد ، فلذلك لا يقع بعدها إلا (أنْ) الخفيفة الناصبة للأفعال ، لأنه لا تأكيد فيها»[١٨] . ومفاد هذا القول أنه لما كانت (أن)لا تستعمل إلا فى سياق الطمع والرجاء فى حصول الحدث الملحق بها ، أو عدم حصوله ، فإن هذا مما يتنافى مع أفعال العلم أو التحقيق ، أو اليقين التى تدل على ثبوت الحدث وتحققه فى الواقع اللغوى ، ومن ثم يكون العنصر اللغوى الذى يناسب هذه الأفعال هو (أنَ) المشددة التى تضفى على هذه الأفعال زيادة دلالية ، هى توكيد العلم واليقين وتحقيقه ، «فالعلم من مواضع التقدير والتحقيق ، والطمع والرجاء من

١٨- ابن يعيش ، شرح المفصل : ٧٧/٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مواضع الشك وغير الثبات ، و(أنّ) المشددة تفيد التوكيد ، والمخففة لا تفيده وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تقرن المشددة بما كان تقريرا ، والمخففة بما كان شكا ... ولو قيل : علمت أنْ يخرج زيد ، وأرجو أنّ زيدا يخرج لكان قلبا للعادة، من حيث يقرن ما هو علم التوكيد بما لا تقرير فيه ، وما هو عار من التوكيد بما هو تقرير»[١٩] . وتظهر هذه الأقوال ، وغيرها كثير ، أن النحاة لم يهملوا تماما أن يذكروا بعض السمات الدلالية التى تتراءى لهم فى درسهم لظاهرة ما ، تلك السمات التى يعدها بعضهم من مستحدثات المدارس اللسانية الحديثة ، وبخاصة المدرسة التوليدية والتحويلية ، حين فكر أتباع هذه المدرسة فى إدراج مفهوم السمة بوصفه معادلا لقاعدة التفريع ، وذلك لما رأوه من قوة قواعدهم على توليد جمل غير مقبولة دلاليا ، فقواعد التكوين عندهم ذات قدرة كبيرة على التوليد ، حتى إن نموذجا مثل :فعل + اسم + اسم يمكن أن يولد جملا غير ملائمة للمعنى ، فعن طريقه يمكن توليد تركيب مثل: أكل المنزل الطعام. وقد سبق أن أشرت فى بحث لى عن صيغ الأمر فى العربية إلى أن نموذجا مثل هذا أفضى بتشومكى ورفاقه إلى اقتراح نوع آخر من القوانين ، سموه بـ (قواعد التفريع) ، وهى القواعد التى

١٩- الإمام عبد القاهر الجرجانى .كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح : ١/٤٨٢، ٤٨٣ .تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان . العراق .منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تقدم لنا العناصر المعجمية مصحوبة بسماتها السياقية، والذاتية ، وقد أو كلت هذه المهمة للبنية العميقة فى الطور الثانى من النظرية بدلاً من تركها فى الطور الأول إلى التفسير الدلالى لرفض مثل هذه الجمل ، ففى الطور الثانى أدخلت النظرية مفهوم السمة بوصفه معادلاً لقاعدة التفريع، ففى مجال تحديد الاسم مثلاً لجأوا إلى السمات التالية[٢٠] : [±عام] ، [± متحرك] ، [±إنسان] ، [±محسوس] ، [±معدود] ، [±معرف] ، [±مذكر] ، [±مفرد] . وبالرجوع إلى نموذج : أكل المنزل الطعام نجد أن كلمة المنزل تحتوى على سمة (-حيوان) ، (- متحرك) ، (-حى) فى حين أن الفعل (أكل) يتطلب فاعلاً يحتوى على سمة (+حيوان) ، (+ متحرك) ، (+حى) ، وبالتالى لا يأخذ اسماً فاعلاً تنعدم فيه هذه الصفات . أما فى مجال تحديد الفعل فقد أولعوا بتفريعه تفريعات متعددة[٢١] . فالفعل يدل على واقعة تكون إما عملاً action، أو حدثاً Process، أو وضعاً Position، أو حالة State، ومن ثم بالإمكان اللجوء إلى السمات التالية : [±عمل] ، [±حدث] ، [±حالة] ، [±وضع] ، [±شخصى] ،

٢٠- ميشال زكريا . مباحث فى النظرية الألسنية وتعليم اللغة ص ١١٤ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط ٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٢١- د. أحمد المتوكل. من البنية الحملية إلى البنية المكونية ص ١٧. الدار البيضاء. دار الثقافة للنشر والتوزيع ط(١) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

www.alukah.net اهداء من شبكة الألوكة

[±متعد] فمثل الأفعال : كتب - ذاكر - ضرب - قتل - جلس - قام تتسم بسمة (+عمل) ، فإذا صدر بعضها عن شخص وسمت بسمة أخرى هى (+ شخصى) . وهناك نوع من الأفعال لا يصدر عن شخص ، مثل الأفعال : يجب - ينبغى - يجوز - يمكن - يحل - يحرم فهذه توسم بسمة (-شخصى) . أما الأفعال :كره - أبغض - سر - ودّ - خاف فإنها توسم بسمة (+ حالة) وهى أفعال تدل فى ذاتها على حالة يمكن أن يتصف بها الإنسان ، أو غيره ، سواء كانت ثابتة ، أو زائلة ، وحتى هذا النوع قسموه تبعًا لنوع الحالة ، لذا يمكن أن تنضوي تحتها التقسيمات التالية[٢٢] .

/حالة /ـ> بيولوجية مثل : عطش - ظمىء - جاع - شبع .

/حالة/ـ> فسيولوجية مثل : عور - حول - طال - قصر .

/حالة/ـ> سيكولوجية مثل : فرح - حزن - غضب .

/حالة/ـ> فيزيائية مثل : أحمرّ

/حالة/ـ> طارئة مثل : وسخ - دنس .

وباختبار هذه المعطيات اللسانية على فئة الأفعال التى يأتى فاعلها مصدراً مؤولاً من (أنْ) والفعل نتبين أن تلك الأفعال لا تتسم مثلاً بسمة

٢٢- أحمد حساني ، السمات التفريعية للفعل ص ٧٠ ، ١٧٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(+ عمل) ، إذ لا نقول : يكتبني أن تذاكر في مقابل : يسرني أن تذاكر فالجملتان مركبتان تركيباً يتسق وقواعد اللغة ، غير أن الجملة الثانية مقبولة دلالياً وقاعدياً ، بخلاف الأولى فهي جملة مرفوضة ، وغير أصولية ، وما ذلك إلا لأن الفعل يكتب « لا ينتقي عادة فاعلاً محولاً عن اسم حدث في سياقه المألوف ، في حين أن الفعل (سرّ) يعد ذلك من أخص خصائصه »[٢٣] .

وما ذلك إلا لأن المصدر المؤوّل في حقيقته اسم حدث ، والحدث معنى، والمعاني لا تكون من أفعال الحركة ، بل من أفعال الحالة .

وللحق فإن ثمة باحثاً جاداً قام بحصر الضوابط الدلالية للأفعال التي يقع الفاعل المحقق لها مصدراً مؤولاً من (أن) والفعل ، وانتهى إلى ما يلي :

١ - تنتمي هذه الأفعال إلى فئة الأفعال غير الشخصية ، وهي تلك التي لا تصدر عن شخص مثل الأفعال : يجب - يجوز - ينبغي - يحل - يحرم - ، وذكر أن هذا النوع لا يتسم بسمة (+ متعدى) ، «لأنها لا تقيم علاقة إسنادية خارجة عن ذات الشيء ، أو الشخص الذي هي من أجله »[٢٤]

٢٣- السابق : ص ٤١ ، ٤٢.

٢٤- السابق : ١٦٨ ، ١٦٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

. ومن نماذج هذا النوع من الأفعال قوله تعالى :

{ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً }[٢٥] .

{ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر } [٢٦] .

= يجدر أن تقول الصدق ، ويجب أن تتواضع - ويمكن أن أصادقك .

٢ - تنتمى هذه الأفعال إلى حقل الأفعال الدالة على حالة نفسية انفعالية، كالحزن والفرح والسرور والإعجاب والإسعاد والإغضاب والرضا والإساءة ، ومن نماذجها :

« قال : إنى ليحزننى أن تذهبوا به »[٢٧] .

وقول الشاعر:

أسرك أن تلقى بعيرك عافياً وتؤتى ببرنى العراق المحطم[٢٨]

وقول الأخر :

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة لقد سرّنى أنى خطرت ببالك[٢٩]

٢٥- سورة البقرة آية ٢٢٩ .

٢٦- سورة يس آية ٤٠.

٢٧- سورة يوسف آية ١٣ .

٢٨- أبوزيد الأنصارى .النوادر فى اللغة ص ١٤٤ بيروت دار الكتاب العربى ط ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

٢٩- أبوعلى القالى .الأمالى:١/ ٣٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالأفعال : يحزن - سر - ساء التى أقامت علاقة تركيبية بينها وبين المصدر المؤول من (أن و الفعل) هى من تلك الأفعال ذات الأبعاد الدلالية المتسمة بسمة (+حالة انفعالية) .

وينطبق هذا المفهوم على (عسى) الذى يكوّن مع (أن +الفعل) ركنًا إسناديًا يكون فيه المصدر المؤول متبوئًا لموقع الفاعل المحقق لما فيه (عسى) من معنى الطمع ، وهو من المعانى التى تتسم بسمة (+حالة) ولعل إكسابها معنى الطمع هو ما جعلها صالحة للدخول على (أن) فيما يذكره ابن الأنبارى[٣٠] . وإذا كان الفعل (عسى) لا يقبل أن يقيم علاقة إسنادية مع فاعله إلا إذا كان مصدراً مؤولاً من (أن) والفعل فإن باقى الأفعال تقبل الثنائية بطرفيها ، فقد يكون فاعلها صريحًا وقد يكون مؤولا ، وهنا يكون البحث والتقصى عن الدواعى الدلالية التى كانت وراء الجنوح إلى المصدر المؤول ، والعدول عن الصريح ، وهو ما سوف نعرض له فى حينه من هذا البحث.

ونأتى الآن إلى الأفعال التى يحتل فيها المصدر المؤول من (أن والفعل) موقع المفعول ونتأملنا لبعض التراكيب القرآنية المثلة لتلك الفئة من الأفعال من مثل قوله تعالى :

٣٠- الإمام أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد الأنبارى . أسرار العربية ١٢٦ . تحقيق محمد بهجة البيطار . دمشق مطبوعات المجمع العلمى .دون تاريخ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون }[٣١] .

{ يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلو } [٣٢] .

{ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب أن ينزل عليكم من خير }[٣٣] .

{ أم تريدون أن تسألوا رسولكم }[٣٤] .

{ لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر }[٣٥] .

نتبين أن تلك الأفعال ليست من النمط الذى يتسم بسمة (+ حركة) ، ويمكننا أن نسميها إلى جانب سمة (+ حالة) التى تتسم بها أفعال مثل يود - يحب ، بسمة أخرى وسمها بها الرضى ، هى سمة (+ ترقب) ، ومثل لذلك بالأفعال (حسبت ، وطمعت ، ورجوت ، وأردت[٣٦] .

ومن اللافت للنظر أن تلك السمات الدلالية التى قدمناها للأفعال التى تختار المصدر المؤول من (أن والفعل) فاعلاً لها ، أو مفعولاً ، سوف تصدق بصفة عامة على كل التراكيب ذات المصادر المؤولة سواء كان الركن التركيبى فيها (أن مع الفعل) ، أو (ما مع الفعل) ، أو (لو مع الفعل) ،

٣١- سورة الإسراء : آية ٥٩.
٣٢- سورة آل عمران .آية ١٨٨ .
٣٣- سورة البقرة .آية ١٠٥ .
٣٤- سورة البقرة . آية ١٠٨
٣٥- سورة المدثر .آية ٣٧ .
٣٦- الرضى ، شرح الكافية : ٢٣٤/٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما ذلك إلا لأنها أفعال معبرة عن موقف أو حالة ، والحالة لا تكون حركة أو عملاً ، ومن ثم يناسبها أن يكون الفاعل المحقق لها حدثاً ، أو معنى أو أن تقع على حدث أو معنى . أما عن الضابط الدلالى للمصدر المؤول إذا شغل وظائف أخرى ، كأن يقع مبتدأ ، أو مجروراً بحرف أو إضافة ، فالحق أن النحاة لم يشغلوا أنفسهم بذلك ، ويبدوحذف الألف أن ذلك راجع إلى أن المصدر المؤول نفسه لا يتقيد بقيد من تلك الضوابط الدلالية ، فقد يكون الفعل المتصل بـ (أن) فعل حالة ، أو متسماً بسمة (+عمل) ، أو موقف .... وهلم جرا . وإن كان قد ورد عن بعضهم بعض التقييدات التركيبية ، كتلك التي ساقها ابن القيم من أنه إذا وقع المصدر المؤول من (أن و الفعل) مبتدأ لا يكون خبره ظرفًا ، ولاجاراً ومجروراً معللاً ذلك بأن المجرورلا يتعلق بالمعني الذي يدل عليه (أنْ) ، ولا الذى من أجله صيغ الفعل ، واشتق من المصدر وإنما يتعلق المجرور بالمصدر مجرداً من هذا المعنى - كما تقدم - فلا يكون خبراً عن (أن) المتقدمة ، وإن كانت فى تأويل اسم[٣٧] . ولا أتفق مع هذا القول إذ إنه يمكن الإخبار بالجار والمجرور عن المصدر المؤول من (أنْ الفعل) شريطة تقدم الخبر ، إذ تقول مثلاً: من دلائل التفوق أن نجحت فى الاختبار ، أو أن تنجح ، ومن ذلك قوله تعالى : [ومن آياته أن خلقكم من

٣٧- ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد :١٠٣/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تراب }[٣٨] ، غير أننا نتفق معه فيما ذكره منه أنه لا يخبر عن المصدر المؤول بشيء مما هو من صفة المصدر ، وإن كان يجوز ذلك في الصريح ، تقول : القيام سريع ، ولا نقول : أن تقوم سريع « لايكون مثل هذا خبراً عن المصدر »[٣٩] . وسوف نعرف السر الدلالي لذلك.

العنصر الثاني : (أن) المشددة :

ومن يتأمل البنية التركيبية التي يرد فيها هذا العنصر المصدري يتبدى له صلاحية هذا العنصر للدخول على كل تركيب لغوي ، ركناه المبتدأ والخبر شريطة أن يكون المبتدأ اسماً صريحاً ، ويكون ذلك عندما يحتاج الموقف إلى إضفاء معنى دلالي على هذا التركيب الإسنادي ، هو توكيده ، وتقوية معناه ، فيجنح المتكلم إلى هذا العنصر المصدري الذي يحيل التركيب كله إلى ركن إفرادي شاغل لوظيفة إعرابية خاصة بالمفرد ، غير أن المفرد هنا ذو سمات دلالية وتركيبية خاصة ، لذا كان من الحتم النظر في التراكيب التي يكون فيها للتعرف على تلك السمات ، حتى يمكن وضع الضوابط الخاصة به في المواقع التركيبية المتباينة . وقد حاول نحويونا في جهد مشكور وضع الضوابط الخاصة بالتراكيب التي يشغلها هذا العنصر المصدري في الوظائف

٣٨- سورة الروم. آية ٢٠.

٣٩- ابن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد : ١٠٣/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النحوية المتعددة فقد نصوا مثلاً على أنه إذا كان المبتدأ مصدرا مؤولاً من (أنّ ومعموليها) وجب أن يكون العنصر الخبرى له شبه جملة مقدماً عليه تقول :عندى أنك فاضل ، ومن أمثلة ذلك فى القرآن قوله تعالى : «ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة»[٤٠] . وهذا قيد تركيبى يضبط وروده فى تلك الوظيفة كما نصوا على أنه إذا شغل وظيفة الخبر تحتم أن يكون المبتدأ من أسماء المعانى ، فى مقابل أسماء الأعيان ، أو الجثث ، وحجتهم فى ذلك أن هذا العنصر بتأويل المصدر، والمصدر معنى ، ولا يخبر عن أسماء الأعيان بالمعانى . كما منعوا وقوع (أنّ ومعموليها) صفة لاسم عين معللين ذلك بنفس التعليل السابق من أن فتح الهمزة «يؤدى إلى وصف أسماء الأعيان بالمصادر »[٤١] . وأيضاً نصوا على امتناع وقوع (أنّ ومعموليها) فى موقع الحال ، لأن المصدر المؤول منها ومن معموليها معرفة ، وشرط الحال التنكير ، هكذا نص الأزهرى فى شرحه على التوضيح[٤٢] . أما الرضى فقد نص على أن المصدر الذى يتبوأ مقعد الحال هو الصريح ، لا المؤول به[٤٣].

٤٠- سورة فصلت .آية ٣٩ .

٤١- الشيخ خالد الأزهرى .شرح التصريح على التوضيح: ٢١٦/١. القاهرة دار إحياء الكتب العربية .د .ت.

٤٢-السابق: ٢١٦/.

٤٣- الرضى ، شرح الكافية : ٣٤٩/٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما يذكر ابن يعيش أنه «لا يحسن وقوع (أنّ) المشددة بعد (لعل) إذا كانت طمعاً أو إشفاقاً وهذا أمر مشكوك فى وقوعه ، و(أنّ) المشددة للتحقيق واليقين ، فلا تقع إلا بعد العلم واليقين »[٤٤]. وروى عن الأخفش إجازته لذلك « على التشبيه بـ (ليت) ، إذ كان الترجى ، والتمنى متقاربان »[٤٥]

وقد مضى بنا طرف من أقوالهم صور لنا الضوابط الدلالية للأفعال التى تقع (أنّ ومعمولاها) فى وظيفة المفعول لها عندما نصوا على وجوب أن تكون من الأفعال الدالة على اليقين والعلم ونحوهما «مما معناه الثبوت والاستقرار ، ليطابق معنياً العامل والمعمول ، ولا يتناقضا[٤٦] . ولذا وجدنا سيبويه - والرواية للرضى - يضعف أن يسبق (أنّ) أفعال مثل : أرجو، وأطمع ، وأخشى ، معللاً ذلك بأن» الفعل الذى يدخل على (أنّ) المفتوحة مشددة كانت أو مخففة يجب أن يشاكلها فى التحقيق »[٤٧] . ولعله من أجل ذلك نص النحاة على أنه "لا يحسن وقوع (أنّ) المشددة بعد (لعل) إذا كانت طمعاً وإشفاقاً ، وذلك أمر مشكوك فى وقوعه ، وأنّ المشددة

٤٤- ابن يعيش .شرح المفصل ٨٦/٨.

٤٥- السابق : ٨٦/٨ .

٤٦- السابق :٧٧/٨ .

٤٧- الرضى .شرح الكافية : ٢٣٢/٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للتحقيق ، واليقين ... وقد أجاز الأخفش ذلك على التشبيه بـ (ليت) ، إذ كان الترجي والتمني يتقاربان»[٤٨] . كما سوغ الزمخشري دخول فعل الحسبان على (أنّ) التي للتحقيق بقوله : «حسبانهم لقوته في صدورهم منزل منزلة العلم»[٤٩] . ولم يخرج على هذا العرف السائد بينهم إلا الرضي - فيما أعلم - إذ أجاز أن تقع (أنّ) معمولة لأفعال التحقيق ، أو لأفعال الشك أو التمني ممثلاً لذلك بقوله : شككت في أنك مسلم ، ورد التعليل الذي ساقه عن جار الله من «أن الفعل الذي يدخل على (أنّ) المفتوحة » مشددة كانت أو مخففة يجب أن يشاكلها في التحقيق» «بقوله» وفيه نظر ، لقوله :

وودت ما تغني الوداة أنني ... بما في ضمير الحاجبية عالم

وفي نهج البلاغة : وددت أن أخي فلانًا كان حاضراً ، وكذا في تعليل المصنف للمنع من ذلك بقوله : لو قلت أتمنى لكان كالمتضاد ، قال : « لأن التمني يدل على توقف القيام و(أن) تدل على ثبوت خبرة وتحققه » ولم يسلم الرضي بهذا التعليل ، لأنه رأى في المعنى الدلالي لـ(أنّ) رأيًا مختلفًا عنهم ، فهو لا يسلم بأن (أنّ) تدل على ثبوت الخبر وتحققه ، بل على أن خبرها مبالغ فيه مؤكد ، ومن ثم يصح أن يثبت هذا المؤكد ، نحو قولك ،

٤٨- ابن يعيش .شرح المفصل ٨٦/٨.

٤٩- الزمخشري .الكشاف: ٦٦٣/١ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تحقق أنك قائم، وأن ينفى ، نحو قولك : لم يثبت أن زيداً قائم . « كما ذكرنا أنه ، لو كان بين معنى التمنى ، ومعنى (أنّ) تنافٍ ، أو كالتنافى لم يجزى ليت أنك قائم »[٥] .

ونحن بدورنا لا نسلم برأى الرضى هذا ، لما فيه من الخلط والاضطراب، ويتمثل هذا الخلط فيما يلى :

١- ما ساقه من جواز وقوعها بعد فعل الشك لا يسلم له، لأنها لم تكن فيه شاغلة لوظيفة المفعول، وإنما كانت مجرورة بحرف الجر، وليس هناك ضابط دلالى، أو سمة تفريعية تمنع وقوع المصدر المؤول من (أنْ) المصدرية، أو (أنّ) المشددة بعد حرف جر ، وإذا فالجهة منفكة .

٢- فى رده على المصنف ، وهو ابن الحاجب قد خلط بين فعلين سماتهما الدلالية متباينة فالمصنف منع وقوع (أن) بعد فعل التمنى ، لا فعل الرادة الذى احتج به عليه ، وهما - فيما أرى - مختلفان دلالياً ، ففعل التمنى يدل على توقف المعنى - على حد قول ابن الحاجب - أو تعذره - على حد فهمى- وفعل الرادة خاطر يترقب وقوع معموله ، أو يرجى حدوثه، وقد يتحقق، ولذا وقع على المصدر المؤول من (أن) ومعموليها فى البيت، وفى المثل الذى ورد فى نهج البلاغة .

٥- الرضى .شرح الكافية :٢/٢٣٢.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ - ما ذكره من تفسير دلالي لـ (أنّ) من أنها تدل على أن خبرها مبالغ فيه مؤكد ، ومن ثم فقد يثبت هذا المؤكد ، وقد ينفى أرد عليه بمثل ما رد به الإمام عبد القاهر من أن فعل العلم والتحقيق حتى فى سياق النفى لا يكون معه إلا المشددة، مع أن النفى لا يثبت العلم ولا يحققه فى الواقع اللغوى معللاً ذلك بقوله : «لأن كونه غير ثابت لمن تحدث عنه لا يخرجه عن حقيقته»[٥١] .

وأخيراً فإن المثال الذى ساقه شاهداً على وقوع (أن) بعد التمنى ليس دليلاً له ، لأنها فيه لم تقع بعد فعل التمنى الذى منعه ابن الحاجب ، بل بعد الحرف (ليت) ووقوعها بعد (ليت) جائز ، بدليل ما سقناه عن الأخفش من إجازة وقوعها بعد (لعل) تشبيها لها بـ (ليت) . ثم إن مما يؤيد ما أقره النحاة ونحن معهم - من قيد دلالى للأفعال العاملة فى المصدر المؤوّل من (أنّ ومعموليها) تراجع الرضى نفسه عند حديثه عن (أنْ)المخففة ، مع أن حكم المخففة فى التأكيد والتحقيق حكم الثقيلة - فيما يذكر ابن يعيش «لأن الحذف إنما كان لضرب من التخفيف»[٥٢] . فقد قصر الرضى الضابط الدلالى نفسه الذى ذكره النحاة للمشددة قائلاً بأنها إذا خففت «تقاصرت

٥١- عبد القاهر الجرجانى .كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح:٢/٤٨٧.

٥٢- ابن يعيش .شرح المفصل ٨ /٧٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

خطاها ، فلا تقع مجرورة الموضع كالمشددة ، لا تقول عجبت من أن ستخرج ، ولا تقع إلا بعد فعل التحقيق كالعلم ، وما يؤدى معناه كالتبيين والتيقن ، والانكشاف والظهور، والنظر الفكرى ، والإيحاء والنداء ، ونحو ذلك ، أو بعد فعل الظن بتأويل أن يكون ظناً متآخياً للعلم»[٥٣] . فهذا النص يبرز فى وضوح السمة السياقية للأفعال التى يشغل المصدر المؤول من (أنْ) المخففة من الثقيلة موقع المفعول فيها ، وهى السمة السياقية لـ (أنَّ) المشددة أيضاً ، ولا فرق بين الاثنين إلا فى التخفيف .

وأخيراً ، ماذا عن الضوابط التركيبية لهذا العنصر المصدرى فى صورته المخففة ، حيث صار شبيهاً بالعنصر الثنائى الوضع (أن) ، وبخاصة إذا وقع بعد أفعال سماتها الدلالية لا تفيد تحقيقاً ؟ كأفعال الشك والظن والمحسبة ، مثل الأفعال ظننت ، حسبت ، خلت ، شككت ، إذ من المعلوم أن تلك الأفعال لا تثبت على حالة دلالية واحدة ، فقد تجنح صوب التحقيق حيناً ، فتصبح متآخية لأفعال التحقيق ، وصوب الظن أحياناً ، فتتآخى مع أفعال الرجاء والخوف ، ذلك أن معنى الظن - كما يذكر ابن يعيش أن يتعارض دليلان ويترجح أحدهما دون الآخر ، وقد يقوى المرجح ، فيستعمل بمعنى العلم واليقين ، وقد يضعف ، فيضحى ما بعدها مشكوكاً فى وجوده ،

٥٣- الرضى .شرح الكافية:٢/٢٣٢، ٢٣٣ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وحينها يحتمل ألا يكون كأفعال الخوف وأن يكون مثلها ، وعليه فالعنصر المصدرى المعمول لهذه الأفعال يحتمل الوجهين معاً ، فقد يكون (أنْ) المخففة، أو الثنائية الوضع . وللحق فإن النحاة قد وضعوا ضوابط فاصلة بين العنصرين معلومة ومتداولة بينهم ، ولولا محدودية البحث لعرضت لها ، كما أنى شعرت أن عرضى لها سيكون من باب التكرار المعيب .

يبقى أن أشير إلى أن المصدر المؤوّل من (أنّ ومعموليها) إذا تبوأ مقعد الفاعل فإن فعله يشترك مع فعل المصدر المؤوّل من (أنْ) الثنائية فى سماتها الدلالية التى تتسم بسمة (+ حالة انفعالية) مثل الأفعال : أعجب - أسعد - أغضب - أرضى - سر . كما أن سمة أخرى لها هى سمة (+شخصى) مثل الأفعال : بلغ - أتى - وصل ، إذ يجنح هذا النوع من الأفعال عندما يكون فاعلها مصدراً مؤوّلاً من (أنّ ومعموليها) إلى هذه السمة الجديدة .

العنصر الثالث : (كى) :

إن أدنى تأمل للتراكيب التى يرد فيها هذا العنصر المصدرى يهدى إلى أنه موضوع فى اللغة ليكون حرفاً من أحرف العلة ، وهو فى هذا يحاكى حرف اللام الذى وضع لهذا المعنى أيضاً ، كما أن من يتأمل التراكيب يتبدى له أن هذا العنصر التعليلى قد اقتصر على الالتحاق بنمط محدد من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الأفعال، وهو ما اصطلح على تسميته بالفعل المضارع الذى يتميز بسمة (+متصرف) مع ملاحظة أن هذا العنصر يؤثر فى الفعل بعده تأثيراً وظيفياً ، يترتب عليه تحول فى علامات الإعراب ينتهى به إلى العلامة الخاصة بالنصب . وهو فى هذا يشبه العنصر المصدرى (أن) الثنائى الوضع الذى سبق التنويه عنه ، فكلاهما يؤثر فى الفعل بعده بتحويله إلى العلامة الإعرابية الخاصة بالنصب ، وثم وجه آخر للشبه بينهما أشار إليه النحاة القدامى ، يتمثل فى تخليص زمن الفعل بعده للدلالة على الزمن المستقبل ، وهذا تحول دلالى، ولاشتراكهما معاً فى هاتين الخاصتين حملت (كى) على (أن) ، كما أشار إلى ذلك ابن الانبارى[٥٤]، وابن هشام الذى ذهب إلى أنها تكون بمنزلة (أن) المصدرية معنى وعملاً[٥٥] .

فإذا عرجنا صوب الضوابط النحوية لهذا العنصر التعليلى تبين لنا أن ثمة أقوالاً متباينة من النحاة ، تنصب كلها فى معين واحد ، هو البحث عن العامل الذى كانت له اليد الطولى فى نصب الفعل بعدها . حكى هذا الخلاف الرضى[٥٦] ، ويمكننا إيجازه فيما يلى :

٥٤- ابن الأنباري . أسرار العربية ص ٣٢٨ .

٥٥- ابن هشام .مغنى اللبيب : ١/١٨٢.

٥٦- الرضى .شرح الكافية :٢/٢٣٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١ - مذهب الخليل والأخفش أن (كي) في جميع استعمالاتها حرف جر ، وانتصاب الفعل بعدها بإضمار (أن) ، وقد تظهر ، وهذا الرأي مبني على مذهب الخليل بأنه لا ناصب للفعل سوى (أن) .

٢ - مذهب الكوفيين أنها في جميع استعمالاتها ناصبة للفعل ، وإذا ظهرت (أن) بعدها فهي إما زائدة ، أو بدل منها .

٣ - مذهب البصريين ، وهؤلاء كانوا أكثر إدراكاً وضبطاً لاستعمالاتها من غيرهم ، فقد رأوا أنها تستعمل على ثلاثة أضرب :

احدها - أن تكون ناصبة للفعل بنفسها ، وتعد في تلك الحالة عنصراً مصدرياً يؤول مع مدخوله بمصدر ، ولا تفيد التعليل في تلك الحالة ، والضابط التركيبي لها هو تقدم حرف اللام عليها في مثل قولنا : جئتك لكي تعطيني حقي ، وقوله: «لكيلا تحزنوا على ما فاتكم»[٥٧] . وقد احتجوا على عدم إفادتها التعليل بأنها لو كانت حرف تعليل ما دخل عليها حرف تعليل آخر[٥٨] .

٥٧- سورة آل عمران .آية ١٥٣ .

٥٨- راجع أبوعلي النحوي .المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات ص ١٩٥ ، ١٩٦ . تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوي . بغداد .مطبعة العاني ١٩٨٣ م . وانظر : الإمام شهاب الدين أبو العباس بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي .الدر المصون في علوم الكتاب المكنون : ٢/ ٢٣٥ . تحقيق الشيخ / علي محمد معوض وآخرين .بيروت دار الكتب العلمية ط ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثانى - أن تكون جارة لا غير ، وتفيد التعليل فى تلك الحالة ، والضابط التركيبى لها هو اقترانها بـ (أن) الناصبة ، وهنا يكون المصدر المؤول من (أن) ومدخولها مجروراً بـ (كى) وشاهدها :

فقالت أكل الناس أصبحت مانحا لسانك كيما أن تغر وتخدعا

الثالث - احتمالها للوجهين معاً، فتكون ناصبة، أو جارة، ولها ضابطان هما:

أ) أن تأتى مفردة ، دون أن تسبق بلام جر ، أو أن تلحقها (أن) الناصبة ، كما فى قوله تعالى : « كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم»[٥٩] ، فيحتمل أن تكون ناصبة للفعل بنفسها ، وحالتئذ تقدر لام الجر قبلها ، ويكون المصدر المؤول منها ومن مدخولها مجروراً باللام . ويحتمل أن تكون جارة وتضمر (أن) بعدها ناصبة للفعل مؤولة معه بمصدر مجرور بـ (كى) .

ب) أن تتوسط بين لام الجر، وأن المصدرية ، وشاهدها فى ذلك قول الشاعر:

أردت لكيما أن تطير بقربتى فتتركها شنا ببيداء بلقع

فمن جعل (أن) هى الناصبة كانت (كى) عنده بدلاً من اللام الجارة ، والحرف قد يبدل من مثله إذا كان موافقاً له فى المعنى . ومن جعل (كى) هى

٥٩- سورة الحشر .آية ٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الناصبة كانت (أن) بدلاً منها ، لأن «كى بعد اللام بمعنى (أن)»[٦٠] .

ولا نريد أن نعرض من أقوالهم لأكثر من ذلك لأن مطلوبنا على كل حال المصدر المؤول ، وهو متوفر فى التركيب ، سواء كان العنصر المصدرى (كى) ، أو (أن) ، غير أنه إذا كنا فى بحثنا هذا قد ارتضينا المنهج الذى يفسر تراكيب اللغة بالمعطيات اللغوية لمفرداتها نكون حتماً مخالفين لمن زعم أن (كى) الناصبة بنفسها لا تفيد تعليلاً ، بل إن صلاحيتها تقتصر فقط على التأويل مع الفعل بعدها بالمصدر ، مثلها فى ذلك مثل (أن) الناصبة محتجين بأنها لو كانت للتعليل ما دخلت على حرف تعليل آخر . وفى البدء نحكم على هذا التدليل بأنه خلل فى المنهج ذلك أنهم أجازوا منذ قليل إبدال الحرف من مثله إذا وافقه معنى ، فلم منعوا ذلك عن (كى) ؟ هل لأن عملها حينئذ يختلف عن عمل اللام ؟ قد يكون ذلك وارداً ، ولكن القيد الضابط الذى ساقوه لذلك هو المعنى ، لا العمل . وعموماً فإنى أرى أن وضع (كى) بعد اللام لا يحاكى وضع (أن) بعدها تماماً ، فهل يستوى قولنا : صليت لأن أنال رضا الله ، مع قولنا : صليت لكى أنال رضا الله فى القيمة الدلالية لكل منهما ؟ الحق أن التركيبين مختلفان ، وأن اقتران اللام بـ (أن) يختلف عن اقترانها بـ (كى) فالأول أفاد معنى العلة دون توكيدها ، و أما

٦٠- الرضى ، شرح الكافية : ٢/ ٢٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الثاني فقد جاء بالعلة مؤكدة بحرفين وضعا للدلالة عليها ، ورأيي هذا متفق مع الكوفيين الذين نصوا على أن مجئ (كي) بعد اللام إنما هو توكيد لها .

ومن هذا العرض للوصف التركيبي لـ (كي) يتبين أنني لم أتطرق - كما لم يفعل النحاة ذلك أيضا - إلى أي ضابط دلالي للأفعال التي تتصل بـ (كي). ويبدو أن ذلك كان مقصودا منهم ، كما أنه مقصود مني على كل حال، ويعود ذلك إلى أن كل فعل صالح في ذاته ، لأن يكون علة ، أو غرضا ، يستوي في ذلك الأفعال التي تتسم بسمة (±حالة) ، أو (±عمل) ، أو (±شخصي) ، وهلم جرا ، والأمر كذلك بالنسبة إلى الفعل المعلل قبلها .

العنصر الرابع :(اللام):

والضابط التركيبي لوقوع اللام حرفا مصدريا - عند من يرى ذلك - هو اتصالها بمعمول فعلي الإرادة والأمر ، ومشتقاتهما على أن يكون مدخولها فعلا مضارعا منصوبا بها ويحتم ذلك بالطبع أن يتصل الفعل باللام ، فلا يفصل عنه بـ (أن) ، أو (كي) المصدريتين . ومن نماذج ذلك قوله تعالى:

{ يريد الله ليبين لكم } [٦١] .

٦١- سورة النساء. آية ٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{ ولكن يريد ليطهركم }[٦٢] .

{ وأمرنا لنسلم لرب العالمين }[٦٣] .

وللحق فقد سبق أن عرضت لهذا العنصر فى دراستى للماجستير ، وكانت متعلقة بكتاب اللامات للهروى ودراسته فى ضوء لامات القرآن الكريم، وكان مما عرضته من آراء النحاة آنئذ يتلخص فى رأيين : -

الأول - ذهب أصحابه إلى أنها للتعليل ، وأن مفعول فعلى الإرادة والأمر محذوف ، ومن هؤلاء الأخفش - فى أحد قوليه - والزجاجى وابن خالويه والزجاج وأبو حيان ، وقد ذكر هذا الأخير صراحة أنه لا يجوز أن يكون متعلق الإرادة والأمر الفعل بعد اللام ؛ لأنه يؤدى إلى تعدى الفعل لمفعوله المتأخر عنه بواسطة اللام ، وإلى إضمار (أن) بعد لام ليست لام الجحود ، ولا لام (كى) ، وكلاهما لا يجوز عند البصريين[٦٤] .

الثانى - ذهب أصحابه إلى أن هذه اللام فى موضع (أن) ، وقصر عليها هذا المعنى بعد الفعلين (أراد) ، و (أمر) ومشتقاتهما ، وممن ذهب إليه الفراء ، وتبعه الهروى ، ونسب الزجاج هذا الرأى للكوفيين عامتهم . ويستشهد الفراء لصحة رأيه بأن اللام إنما صلحت فى موضع (أن) فى أردت

٦٢- سورة المائدة. آية ٦.

٦٣- سورة الأنعام. آية ٧١.

٦٤- أبو حيان النحوى. تفسير البحر المحيط:٣/٢٢٥.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأمرت لأنهما يطلبان فى المستقبل ، ولا يصلحان مع الماضى ، ألا ترى أنك تقول « أمرتك أن تقوم ، ولا يصلح أمرتك أن قمت . فلما رأوا (أن) فى غير هذين الموضعين تكون للماضى والمستقبل استوثقوا لمعنى الاستقبال بـ (كى) ، وباللام التى فى معنى (كى) »[٦٥] . وقد أثبت للام هذا المعنى أيضا بعد الأفعال المشبهة لـ (أردت ،و أمرت) مستشهدا بقول الشاعر :

أحاول إعناتى بما قال أم رجا ليضحك منى أو ليضحك صاحبه

يقول : «والكلام رجا أن يضحك منى»[٦٦] . أما الزمخشرى فقد تأرجح فى المسألة فمرة أثبت أن اللام للتعليل[٦٧] ، وأخرى يثبت أنها بمعنى (أن)[٦٨] ، وثالثة يذكر أنها للتعليل ، ولا يبعد فيها الوجه الثانى ، إذ أجاب من سأله إن كان قوله تعالى: «ولتكملوا العدة»[٦٩] معطوفا على اليسر فى قوله: «يريد الله بكم اليسر فقال :لا يبعد ذلك[٧٠] . وحتى

٦٥- أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء .معانى القرآن: ٢٦١/١ ، ٢٦٢ . تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار .القاهرة .الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر،١٩٥٥م.

٦٦- السابق :٢٦٢/١. وانظر: د. أحمد علم الدين الجندى .من تراث لغوى مفقود مكة المكرمة . مطبوعات جامعة أم القرى ١٤١٠ هـ .

٦٧- الزمخشرى . الكشاف: ٣٧/٢ .

٦٨-السابق. ٥٠١/١.

٦٩- سورة البقرة .آية ١٨٥.

٧٠- الزمخشرى. الكشاف: ٢٢٨/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الزجاج الذى أنكر هذا الرأى من الكوفيين نجده يثبت أنها بمعنى (أن) فى موضع آخر من كتابه[٧١] .

تلك هى أبرز الآراء التى ذكرها أصحابها حول هذا العنصر اللغوى ، وإذا أخذنا بقول الفراء ومن تبعه فإن اللام تكون حرفا مصدريا بعد فعلى الإرادة والأمر ، وتكون بمعنى (أن) وتقوم مقامها فى تقييد الفعل بعدها بالاستقبال ، وتأويله بالمصدر . غير أن السمة المميزة لها عن (أن) تنصب على إرادة التوكيد لمدخولها ، بخلاف (أن) التى لا تؤدى هذا المعنى ، وقد أشار إلى ذلك الزمخشرى عندما نص على أن اللام جاءت مؤكدة لإرادة التبيين[٧٢] .

وقد سبق أن أيدت هذا الرأى مدللا على صحته بدليلين ، أسوقهما هنا بنصهما :

١ - العطف على اللام ، ومعمولها بـ (أن) ومعمولها ، و ذلك فى قوله تعالى : «وأمرنا لنسلم لرب العالمين وأن أقيموا الصلاة»[٧٣] ، فالفعل أمرنا قد وقع على الاثنين ، وأن مراده الاثنان : الاسلام وإقامة الصلاة معا ، ودخول اللام فى «لنسلم» يجعلها أكثر تأكيدا من مدخول (أن)

٧١- الزجاج. معانى القرآن وإعرابه : ٢/ ٢٨٥.

٧٢- الزمخشرى . الكشاف: ١/ ٥٠١.

٧٣- سورة الأنعام .آيتا : (٧١، ٧٢) .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهو إقامة الصلاة . وقد قال الزمخشري «فإن قلت علام عطف قوله : و أن أقيموا ، قلت هو على موضع (النسلم) ، وكأنه قيل : وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا[٧٤] .

٢ - عطفها مع مدخولها على المفعول الصريح في قوله تعالى : «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم» والمعنى المراد من الآية - والله أعلم - «يريد الله بكم اليسر وإكمال العدة»[٧٥] .

العنصر الخامس : (الذي)

الضابط النحوي لهذا العنصر اللغوي أنه اسم موصول يقع على كل مذكر من العقلاء وغيرهم ، كذا ذكر ابن يعيش[٧٦] ، غير أن هذا الضابط النحوي كانت تنقصه النظرة الشاملة للتراكيب ، إذ ندّت عنه بعض التراكيب التي لم تصدق على هذا الضابط الموضوع من قبل النحاة ، فقد وجدناه في بعض التراكيب واقعا على غير المفرد ، ولم يقتصر ذلك على لغة الشعر المقيدة بضوابط الوزن والقافية ، بل وجدنا ذلك واقعا في التراكيب القرآنية

٧٤- الزمخشري .الكشاف : ٣٨/٢.

٧٥- د. طه محمد الجندي .كتاب اللامات للهروي تحقيق ودراسة في ضوء لامات القرآن الكريم ص ٢٧١ .رسالة ماجستير بدار العلوم .

٧٦- ابن يعيش .شرح المفصل ١٣٩/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن أمثلة ذلك شاهد سيبويه فى الكتاب :

وإن الذى حانت بفلج دماؤهم

هم القوم كل القوم يا أم مالك[٧٧]

وقوله تعالى: { وخضتم كالذى خاضو} [٧٨]

وقوله تعالى : { والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون}[٧٩]

وقوله تعالى : { والذى قال لوالديه أف لكما .. أولئك الذين حق عليهم القول}[٨٠] .

فمن البين فى هذا التراكيب أن الضمير العائد على (الذى) كان مجموعا فى البيت ، وفى آية التوبة ، كما أشير إليه بالاسم الموضوع للجمع أيضا (أولئك) فى الآيتين الأخيرتين ، ولا شك أن ذلك مناقض للضابط النحوى لهذا العنصر اللغوى . وبالطبع لم يقف النحاة مكتوفى الأيدى ، بل لجأوا إلى التأويل مطيتهم فى مثل هذه المواقف وكان من جراء ذلك كم متراكم من الأقوال المتناثرة[٨١] حول الدلالة اللغوية لهذا العنصر ، وكان من

٧٧- سيبويه ، أبوبشر عمرو بن عثمان بن قنبر .الكتاب: ١٨٧/١. تحقيق عبد السلام هارون القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م.

٧٨- سورة التوبة .آية ٦٩.

٧٩- سورة الزمر .آية ٣٣.

٨٠- سورة الأحقاف .آيتا ١٧ ،١٨.

٨١- انظر عرضا مفصلاً لهذه الآراء فى رسالتى للدكتوراه .ظاهرة المطابقة النحوية فى ضوء الاستعمال القرآنى ص ٤٢ -٤٨ . مخطوط بدار العلوم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جملة ما ذكروه فى هذا الصدد رأى أجاز جعلها حرفا مصدريا ، يؤول مع مدخوله بمصدر ، ذكر هذا العكبرى فى التبيان مفسرا البنية التحتية لقوله تعالى: «وخضتم كالذى خاضوا » قائلا : أى كخوضهم[٨٢] . ووصفه بأنه نادر . كما ذكر هذا الرأى أيضا السيوطى فى حديثه عن تقارض اللفظين ، أى إعطاء كل واحد منهما حكم صاحبه ، فبين «أن (الذى) و (أن) المصدرية يتقارضان ، فتقع الذى مصدرية» ، وذكر أن هذا الرأى قال به يونس والفراء والفارسى ، وارتضاه ابن خروف ، وابن مالك[٨٣] . وما قدمته من نصوص يجعلنى أميل إلى القول بموصولية (الذى) ، لا بحرفيته وجعله مصدريا ، بل هو اسم موصول عام ، له لفظ ومعنى ، لذا يمكن أن يعود الضمير عليه مفردا إذا روعى فيه جانب اللفظ ، كما يمكن أن يراعى معناه فيعود الضمير إليه مجموعا ، وهو فى كلا الاستعمالين اسم موصول ، لا حرف مصدرى ، والرأى القائل بحرفيته رأى قاصر ، لم يكن وليد نظرة عامة للتراكيب اللغوية .

٨٢- أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى . التبيان فى إعراب القرآن: ٦٥١/٢تحقيق على محمد البجاوى . القاهرة. عيسى البابى الحلبى وشركاه.

٨٣- جلال الدين السيوطى . الأشباه والنظائر: ١٣٩/١ ، ١٤٠. القاهرة .دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع .ط٣ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

العنصر السادس : (لو) :

أقر فريق غير قليل من نحاتنا القدامى صلاحية هذا اللفظ ليكون عنصرا مصدريا ، غير أنهم حددوا تلك الصلاحية له فى تراكيب محددة ، وكان الحق معهم ، لأن الفريق الثانى الذى لم يقر لها بتلك الصلاحية أولوا تلك التراكيب تأويلات متكلفة ،لا تتفق مع منطق اللغة ، ولا روحها . والضابط النحوى لوقوع (لو) حرفا مصدريا بينه الرضى[٨٤] عندما نص على أنها تكون كذلك إذا وقعت بعد فعل يفهم منه معنى التمنى . وقد كان ابن هشام أكثر تحديدا من الرضى عندما ذكر أنها تكون مصدرية إذا وقعت بعد الفعلين (ودّ - يودّ) ، نحو قوله تعالى : «ودوا لو تدهن»[٨٥] و «يود أحدهم لو يعمر»[٨٦] ، بل وجدنا من هو أكثر تحديدا لها من ابن هشام ، ذلك الذى نظر إلى الدلالات المتعددة لهذا الفعل (ودّ) ، فهو إما أن يكون بمعنى (تمنى) ، أو (أحب) فقصر استعمال (لو) المصدرية بعد المفهمة للتمنى يوضح هذا الرأى ما جاء فى الدر مرويا عن أبى مسلم الأصبهانى فى قوله : «إذا كانت (ودّ) بمعنى (تمنى) فيستعمل معها (لو) و (أن) ، وربما جمع بينهما ، فيقال : وددت لو أن فعلت ، وحكى عن الراغب قوله : «إذا كان

٨٤- الرضى .شرح الكافية : ٢/٣٨٧.

٨٥- سورة القلم .آية ٩.

٨٦- سورة البقرة .آية ٩٦، وانظر :ابن هشام ،مغنى اللبيب ٢/ ٢٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمعنى أحب لا يجوز إدخال (لو) فيه أبدا[٨٧] . وفى هذا الصدد لا ينبغى أن يشكل علينا دخول (أن) على (لو) فى حديث أبى مسلم السابق ، لأننا سقنا عنهم آنفا إجازتهم إبدال الحرف من مثله ، إذا كان موافقا له فى المعنى.

وقد ساق لنا هذا الفريق من المثبتين لها هذا المعنى من الأدلة والبراهين ما يؤكد صحة مذهبهم ، فهذا العكبرى فى التبيان يذكر لنا دليلين للتفريق بين (لو) التى تقع مصدرية ، والتى تكون للشرط ، أحد هذين الدليلين دلالى ، والآخر تركيبى ، يقول «لو يعمر ، (لو) هنا بمعنى (أن) الناصبة للفعل ، ولكن لا تنصب ، وليست التى يمتنع بها الشئ لامتناع غيره ، ويدلك على ذلك شيئان: أحدهما: أن هذه يلزمها المستقبل ، والأخرى معناها فى الماضى، والثانى : أن يود يتعدى إلى مفعول واحد وليس مما يعلق عن العمل ، فمن هنا لزم أن يكون (لو) بمعنى (أن)[٨٨].

وإذن فالرأى مع جواز وقوعها مصدرية فى هذه التراكيب ، وذلك لاتفاقها مع غيرها من العناصر المصدرية الأخرى فى أن الفعل الذى يعمل فيها وفى مدخولها فعل قلبى من تلك الأفعال التى تتسم بسمة (+ حالة) ولعل ذلك يعود إلى أنها تستخدم بمعنى التمنى الذى هو شئ يهجس فى

٨٧- السمين الحلبى . الدر المصون :٢/١٣١.

٨٨- العكبرى . التبيان فى إعراب القرآن :١/٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القلب يقدره المتمنى - على ما يذكر ابن يعيش[٨٩] . ثم إن فى الأخذ بهذا القول سلامة من التكلف الذى تأوله المانعون ، إذ تأولوا مفعولا للفعل (ود - يود) محذوفا ، كما تأولوا جوابا لـ (لو) محذوفا أيضا ، وتقديرهما فى قوله تعالى : « يود أحدهم لو يعمر » يود أحدهم طول التعمير لو يعمر ألف سنة لسره ذلك [٩٠] . وبيّنٌ مدى التكلف فى هذا التأويل ، حتى إن كثيرا من نحويينا القدامى وصفوه بذلك ، منهم ابن هشام الذى عقب على حذف مفعول الفعل ، وجواب (لو) بقوله : «ولا خفاء بما فى ذلك من التكلف » . وقد وجدت هذا الرأى نفسه من الشهاب والصبان والخضرى[٩١] .

وإذا كنا قد خلصنا إلى جواز وقوع (لو) مصدرية بعد ما يفيد معنى التمنى من الأفعال : ودّ - يودّ فإننا لا نوافق ابن هشام فيما ذهب إليه من جواز وقوعها مصدرية بعد أفعال لا تتسم بهذه السمة ممثلا لها بقول قتيلة :

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المُحنق

٨٩- ابن يعيش . شرح المفصل :٩/١١.

٩٠- راجع : الشيخ خالد الأزهرى . شرح التصريح : ٢/٢٥٥ والسمين الحلبى . الدار المصون :١/٣٠٩.

٩١- راجع . الشهاب حاشيته على تفسير البيضاوى :٨/٢٢٨ : بيروت . دار صادر . دون تاريخ، والصبان . حاشيته على شرح الأشمونى :٤/٣٥. القاهرة دار إحياء الكتب العربية. دون تاريخ والخضرى حاشية الخضرى : ٢/١٢٧. دار إحياء الكتب العربية . دون تاريخ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقول الأعشى :

وربما فات قوما جل أمرهـــم من التأنى ، وكان الحزم لو عجلوا

وقول امرىء القيس :

تجاوزت أحراساً عليها ومعشراً علي حراصًا لو يسرونى مقتلى

ويمكن تفسيرها فى تلك الأبيات بأنها حرف تمن ، وهو من المعانى التى أوردها ابن هشام لها ممثلاً لذلك بقوله تعالى : { فلو أن لنا كرة }[٩٢] ، أى فليت لنا كرة . وقد ساق ابن هشام[٩٣] عن الضائع بأن (لو) التي للتمنى قسم قائم برأسه لا تحتاج إلى جواب .

العنصر السابع : (ما) :

إن نظرة متأملة للتراكيب التى يرد فيه هذا العنصر اللغوى ترينا أنه صالح فى لفظه لأن يحمل دلالات متنوعة نتيجة لتنوع المعانى التى يحتملها فى التركيب الواحد ، ولذا وجدنا الكثير من نحاتنا يقرون بصلاحية هذا اللفظ ليكون موصولا ، أو نكرة موصوفة ، أو حرفا مصدريا ، كل هذا فى التركيب الواحد .

وقد وجدنا على الجانب الآخر من يثبت لها معنى الموصولية ، وينفى

٩٢- سورة الشعراء . آية ١٠٢ .

٩٣- ابن هشام . مغنى اللبيب : ١/٢٦٦ ، ٢٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنها معنى المصدرية محتجا لصحة دعواه بالطبيعة الدلالية لها فى التراكيب . فهذا الأخفش - فيما ينقله عنه ابن يعيش [٩٤] - (يرى أن (ما) لا تكون إلا اسما ، فإن كانت معرفة فهى بمنزلة الذى عنده ، والفعل فى صلتها ، وإن كانت نكرة فهى فى تقدير شئ ، فالفعل بعدها صفة ، وفى كلا الحالين لا بد من عائد يعود عنده إليها . ومن هذا المنطلق يجيز أعجبنى ما صنعت ، بتقدير صنعته ، ولا يجيز أعجبنى ما قمت ، لأن الفعل غير متعد ، فلا يصح تقدير ضمير فيه ، ولا يجوز عنده أيضا : أعجبنى ما ضربت زيدا ، لأن الفعل قد استوفى مفعوله ، فلا يصح تقدير ضمير مفعول آخر فيه .وقد أيد الأخفش فى دعواه هذه السهيلى ، فألفيناه ينكر الإقرار بكونها مصدرية ، ولا تكون عنده إلا موصولة ، غير أن الأخفش انطلق فى دعواه من مقدمات تركيبية ، تعود إلى وجوب عود ضمير إليها . أما السهيلى فقد انطلق من مقدمات دلالية ذاهبا إلى أنها لا يجوز أن توجد إلا موصولة ، لأنه لا يعقل معناها إلا بالصلة ولا يجوز أن توجد إلا واقعة على جنس تتنوع منه أنواع ، لأنها لا تخلو من الإبهام أبدا ، ولذا كان فى لفظها ألف آخرة ، لما فى الألف من المد والاتساع فى هواء الفم مشاكلة لاتساع معناها فى الأجناس[٩٥] . ثم رد على من زعم من النحويين أن

٩٤- ابن يعيش . شرح المفصل :٨/١٤٢.

٩٥- السهيلى . نتائج الفكر :١٨٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ما) هى التى تكون مع الفعل بمنزلة (أن) مع الفعل بتأويل المصدر فقال " وليس كما ظنوه ، ألا ترى أنك لا تقول يعجبنى ما تجلس كما تقول يعجبنى أن تجلس ، وأن تخرج وأن تقعد ، ولا تقول فى هذا كله (ما)[٩٦] . وعلل صحة مذهبه بما ذكره من كون (ما) اسما مبهما ، لا تقع إلا على جنس تختلف أنواعه ، ومن ثم فلا تقول "يعجبنى ما جلست / وما انطلق زيد ، فهذا غث من الكلام لخروج (ما) فيه عن الإبهام ، ووقوعها على ما لا يتنوع من المعانى[٩٦] . وقد دفعه هذا الرأى إلى تفسير التراكيب التى يوحى ظاهرها بخصوصية الفعل ، لا عمومه فحاول رده فيها إلى العموم ، ففى قوله تعالى «ذلك بما عصوا»[٩٧] يذكر أن المعصية تختلف أنواعها ويقول : « فهو كقولك : لأعاقبنك بما ضربت زيدا ، وبما شتمت عمرا ، أوقعتهما على الذنب ، والذنب مختلف الأنواع ، ودل ذكر المعاقبة والمجازاة على ذلك ، فكأنك قلت لأجزينك بالذنب الذى هو ضرب زيد ، أو شتم عمرو ، فـ (ما) على بابها غير خارجة عن إبهامها »[٩٨] .

ولكى يفر من جعلها مصدرية إذا اقترنت بحرف الجر ذهب إلى أنها كافة لهذا الحرف مهيئة له للدخول على الفعل ، ففى قولهم : « اجلس كما

٩٦- السابق :١٨٦.

٩٧- سورة البقرة . آية ٦١ .

٩٨- السهيلى . نتائج الفكر :١٨٦، ١٨٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

جلس زيد ، وصلوا كما رأيتمونى أصلى ، فقد ظن أكثر الناس أنها بمعنى المصدر هنا ، وقد تبين فساد هذا المذهب ، لأن الفعل هذا خاص غير عام ، ولكنها كافّة للخافض مهيئة لكاف التشبيه أن يقع بعدها الفعل»[٩٨] .

وأود قبل الرد على صاحبى هذا الرأى أن أعرض للمثبتين لـ (ما) معنى المصدرية . وهم جمهور النحاة وعلى رأسهم سيبويه . كما يحكى صاحب شرح المفصل[٩٩] - فعنده يستوى قولنا : أعجبنى ما صنعت ، بقولنا : أعجبنى أن قمت ، ولا تحتاج فى مثل هذا المثال إلى ضمير يعود إليها ، لأنها فى تلك الحالة حرف ، والضمير لا يعود إلى حرف فى أرجح الأقوال .ويؤيد ابن يعيش هذا المذهب مستدلا بقوله تعالى : «ومما رزقناهم ينفقون»[١٠٠] فيبين أنها لو كانت «اسما للزم أن يكون فى الجملة بعدها ضمير ، ولا ضمير فيه ، ولا يصح تقدير ضمير ، لأن الفعل قد استوفى مفعوله»[١٠١] ثم يعرض للمواطن التى يكون العائد فيها ضمير نصب متصلا محذوفا ، فعنده أن (ما) فى مثل هذه التراكيب يمكن جعلها موصولة على تقدير حذف العائد ، ويمكن جعلها مصدرية على اعتقاد عدم وجود عائد

٩٨- السهيلى . نتائج الفكر :١٨٦، ١٨٧ .

٩٩- ابن يعيش . شرح المفصل :٨/١٤٢.

١٠٠- سورة البقرة .آية ٣ .

١٠١- ابن يعيش . شرح المفصل : ٨/١٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«فأنت تقول أعجبنى ما صنعت ، وسرنى ما لبست ، ويكون ثم عائد على معنى صنعته ولبسته ، ولا يعود الضمير إلا على اسم ، قيل : متى اعتقدت عود الضمير إلى (ما) كانت اسماً لا محالة ، ومتى لم تعتقد ذلك فهى حرف»[١٠٢] .

إن المرتكز الذى عول عليه ابن يعيش - ونحن معه - فى صحة دعواه هو دليل تركيبى محض يتمثل فى وجود ضمير عائد على (ما) أو عدم وجوده، فإن وجد الضمير العائد فهى اسم لا محالة ، وإلا فهى حرف مصدرى، ولذا ذهب إلى القول بمصدريتها فى قوله تعالى : « وضاقت عليهم الأرض بما رحبت»[١٠٣] . لأنه ليس فى صلتها عائد ، والفعل لازم ، ولا يتعدى ، ولا يصح إلحاق الضمير به[١٠٤]، كما أنها موصولة فى قوله تعالى : « فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه»[١٠٥] ، وذلك لعود الضمير فى (به) عليها[١٠٦] .

ويجوز فيها الوجهان فى قوله تعالى : « فالصالحات قانتات

١٠٢- السابق :٨/ ١٤٢، ١٤٣ .

١٠٣-سورة التوبة . آية ١١٨ .

١٠٤- ابن يعيش . شرح المفصل :٨/ ١٤٢، ١٤٣ .

١٠٥- سورة البقرة . آية ١٠٢ .

١٠٦- انظر : العكبرى . التبيان فى إعراب القرآن :١/ ١٠٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حافظات للغيب بما حفظ الله»[١٠٧] ، يقول الزجاج فى تأويلها : « تأويله - والله أعلم - بالشىء الذى يحفظ أمر الله ، ودين الله ، ويحتمل أن يكون على معنى بحفظ الله»[١٠٨] .

فالزجاج قد أجاز فيها الوجهين لاحتمالهما فى تفسير البنية التحتية لها ، فإن كانت موصولة فالبنية التحتية لها هى بالشىء الذى يحفظ أمر الله ، وإن كانت مصدرية فالبنية التحتية لها على معنى بحفظ الله .

أما ردنا على الأخفش والسهيلى فيعتمد على ضوابط دلالية ، وأخرى تركيبية ، أما التفسير الدلالى فقد ذكره ابن هشام عند تناوله لقوله تعالى : «ليجزيك أجر ما سقيت لنا»[١٠٩] . فيذكر أن (ما) فى الآية لا تكون بمعنى الذى - كما ذكر السهيلى «لأن الذى سقاه لهم الغنم ، وإنما الأجر على السقى الذى هو فعله ، لا على الغنم ، فإن ذهبت تقدر أجر السقى الذى سقيته لنا فذلك تكلف لا محوج إليه»[١١٠] ، ويعنى ذلك القول بواضح العبارة أن القول بجعل (ما) موصولة يفضى إما إلى معنى يخالف المراد من الآية ، إذ يذهب الأجر إلى الغنم ، لا إلى السقى الذى هو

١٠٧- سورة النساء . آية ٣٤.

١٠٨- الزجاج . معانى القرآن وإعرابه ٢/٤٧.

١٠٩- سورة القصص . آية ٢٥.

١١٠- ابن هشام . مغنى اللبيب: ١/٣٠٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فعله ، وإما إلى تكلف بعيد لا حاجة فى الآية إليه ما دام يمكن حملها على المعنى القريب المفاد من تفسير (ما) و مدخولها بالمصدر ، والمعنى ليجزيك أجر السقى .

أما الضابط التركيبى الذى يمكن الرد به على السهيلى فيتمثل فى هذا القول من ابن القيم حين ذكر أنه لا يشترط فى كونها مصدرية ما ذكر من الإبهام ، بل تقع على المصدر الذى لا تختلف أنواعه ، بل هو نوع واحد «ولو أنك قلت فى الموضع الذى منعه ، هذا بما جلست وهذا بما نطقت كان حسناً غير غث ، ولا مستكره ، وهو المصدر بعينه ، فلم يكن الكلام غثاً بخصوص المصدر ، وإنما هو بخصوص التركيب»[١١١] .

وهذا الرد يعتمد إلى حد كبير على طبيعة العنصر اللغوى الذى يسبق (ما) فإذا كان هذا العنصر حرف جر جاز وقوع (ما) المصدرية على الفعل الذى تختلف أنواعه ، وعلى ما كان نوعاً واحداً .أما إذا كان هذا العنصر فعلاً يشكل مع (ما) ومدخولها علاقة إسنادية يكون فيها المصدر المؤول منها فاعلاً فإن الأمر مختلف ، إذ يتطلب ذلك نمطاً من الأفعال له سمات خاصة به تميزه عن غيره من الأفعال الأخرى ، واستدل على أن الغثاثة التى استشعرها السهيلى لم تكن بخصوص تفسير (ما) بالمصدرية ، بدليل أننا

١١١- ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد :١/١٥٧،١٥٨ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لو أبدلنا (الذى) بـ (ما) فى المواطن التى استكرهها لاستشعرنا الغثاثة نفسها : « وأنت لو قلت يعجبنى الذى يجلس لكان غثاً فى المقال»[١١٢] .

ومن ثم يمكننا أن نستنتج ضابطاً تركيبياً يقيد تواتر ورود (ما) مصدرية ، سواء دخلت على فعل متعدد الأنواع ، أو كان دالاً على حدث واحد معين ، وهو أن يسبقها عنصر من العناصر الجارة ، وتكون هى والفعل بعدها عبارة عن حالة مسببة لما قبلها . كما فى قوله تعالى :

«ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون»[١١٣] .

« ولتكبروا الله على ما هداكم »[١١٤] .

«لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم»[١١٥].

«سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله»[١١٦] .

ففى الآيات دخلت (ما) على فعل متنوع الدلالة مثل كسب القلوب ، وعلى ما هو أحادى الدلالة مثل المعصية والإشراك بالله . يقول صاحب الدر فى معرض تناوله لقوله تعالى : { لا يؤاخذاكم الله باللغو .... } و (ما) يجوز فيها ثلاثة أوجه أظهرها أنها مصدرية ، لتقابل المصدر وهو اللغو أى

١١٢- السابق :١/١٥٩.

١١٣- سورة البقرة . آية ٦١ .

١١٤- سورة البقرة . آية ١٨٥ .

١١٥- سورة البقرة . آية ٢٢٥ .

١١٦- سورة آل عمران . آية ١٥١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يؤاخذكم باللغو ، ولكن بالكسب[١١٧] ، كما رجح كونها مصدرية فى الآية الثانية مفسراً البنية التحتية لها بقوله « أى على هدايته إياكم »[١١٨] ، والأمر نفسه كان من صاحب الكشاف[١١٩] .

أما عندما تقع (ما)فى تركيب لغوى ، تؤول فيه مع مدخولها بمصدر محقق للحدث السابق عليها ، أى تشكل علاقة إسنادية تكون فيها فى موقع الفاعل ، فإن ثمة ضوابط محددة ينبغى توفرها فى كلا الفعلين ... السابق عليها ، وهو الذى تشكل معه العلاقة الإسنادية ، والتالى لها الذى تتأول معه بالمصدر .

وعن هذا الذى تتأول معه بالمصدر يجب أن يكون من حقل الأفعال الدالة على عموم المصدر ، لا خصوصه ، أى يكون من الأفعال المختلفة الأنواع - على حد قول السهيلى - ذلك لأن (ما) اسم مبهم ، فلا يصح وقوعه إلا على جنس تختلف أنواعه "فإن كان المصدر مختلف الأنواع جاز أن تقع عليه ، ويعبر بها عنه كقولك :يعجبنى ما صنعت ، وما فعلت ، وكذلك تقول ما حكمت ، لأن الحكم مختلف أنواعه ، وكذلك الصنع والفعل والعمل، فإن قلت :يعجبنى ما جلست ، وما انطلق زيد كان غثاً من الكلام

١١٧- السمين الحلبى . الدر المصون :٢/ ٥٥٠.

١١٨-السابق:١/ ٤٧٠.

١١٩- الزمخشرى . الكشاف :١/٤٠٢، ٢ /١٤٩، ٢٦٠ ، ٢٦٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لخروج (ما) عن الإبهام ، ووقوعها على ما لا يتنوع من المعانى»[١٢٠] .

ولتوضيح ذلك نقف أمام المثالين اللذين ساقهما :

= يعجبنى ما صنعت .

= يعجبنى ما جلست .

إذ يلاحظ لأول وهلة أن الجملتين متوافقتان فى البنية السطحية وذلك من حيث عدد العناصر المكونة لكل منهما ، وترتيبها ، بيد أن الجملة الأولى جملة أصولية مقبولة معنى ومبنى ، بينما الجملة الثانية جملة غير أصولية ، وغير نحوية .ومرد ذلك إلى أن الفعل الذى ركّبت معه (ما) ، وتأوّل معها بالمصدر فعل ذو سمة دلالية يختلف عن الفعل فى الجملة الأولى ، من حيث صلاحية الأول للدلالة على معان متنوعة تناسب الإبهام الذى وضعت له (ما) ، بخلاف الفعل فى التركيب الثانى الذى هو من زمرة الأفعال ذات الدلالة الخاصة الأحادية الجانب ، لا المتنوعة المعانى ، ومن ثم يمكننا أن نستنبط القاعدة التالية:

تقع (ما) المصدرية مع مدخولها فى موقع الفاعل إذا كان الفعل الذى تتأوّل معه بالمصدر من الأفعال ذات الدلالة المتنوعة التى تضفى على التركيب نوعاً من الإبهام الذى يتناسب مع الأصل اللغوى لـ (ما) المصدرية .

١٢٠- السهيلى . نتائج الفكر :١٨٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا اقتربنا من زمرة الأفعال التى تسبق (ما) المصدرية المتبوئة لموقع الفاعل لتلك الأفعال تبدى لنا أن تلك الأفعال لا توجد بصورة عشوائية ، بل يخضع تواجدها فى هذا الموقع إلى ضوابط دلالية تميز نوعاً معيناً من الأفعال دون غيره، إذ يتبين أن المجال الذى يميز هذا النوع من الأفعال هو انتماؤها إلى حقل الأفعال الدالة على حالة نفسية انفعالية كتلك التى تدل على الغضب والحزن والفرح والإعجاب والرضا والإساءة ، وغيرها ، وهى فى ذلك تشترك مع باقى العناصر المصدرية من أن فعلها يتميز بسمة (+حالة).

أما الأفعال الدالة على سمة (+عمل) فلا مجال لها هنا ، ولتوضيح ذلك نحاول الاقتراب من هذين المثالين :

= يغضبنى ما فعل الشرطى بالبرىء .

= يضربنى ما فعل الشرطى بالبرىء

فمع أن ثمة توافقاً بين الجملتين فى البنية السطحية لهما فإننا نحكم لأول وهلة بأصولية الجملة الأولى ،وقبولها من المستمع العربى ، وعدم أصولية الجملة الثانية ،ورفضها من قبل المستمع العربى ، وما ذلك إلا لأن الفعل فى الجملة الثانية من زمرة الأفعال التى تتسم بسمة (+ عمل) وهى من الأفعال التى لا تتفق دلاليا مع العناصر المصدرية التى تكون فى موقع الفاعل .

بقى أن نشير إلى ضابط يتحتم توفره فى كل الأفعال التى تدخل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليها (ما) ، وتتأول معه بالمصدر وهذا الضابط قد أوجبه لحاتنا القدامى ، وقد سبق أن أشرنا إليه ، وهو وجوب اتصالها بفعل متصرف ، «إذ الذى لا يتصرف لا مصدر له ، حتى يؤول الفعل مع الحرف به»[١٢١] ويغلب أن يكون ماضى اللفظ مثبتا ، ويقل أن يكون مضارعا ، ونص الرضى على أنه لا يكون أمرا باتفاق[١٢١] . أما اتصالها بالأسماء ، فهو أمر من الندرة بمكان ، وقد مثل لذلك ابن يعيش بقوله : «يعجبنى ما أنت صانع ، أى صنيعك»[١٢٢] .

وأخيرا فثمة أمر دلالى يتعلق بـ (ما) ، ذلك هو إمكانية تفسير البنية التحتية لها مع مدخولها بمصدر مضاف إلى الظرف ، وأطلقوا عليها (ما) المصدرية الظرفية ، وسماها ابن هشام بالمصدرية الزمانية معللا ذلك بقوله : «ليشمل نحو كلما أضاء لهم مشوا فيه»[١٢٣] فإن الزمان المقدر هنا مخفوض ، والمخفوض لا يسمى ظرفا[١٢٤] . والضابط التركيبى لها فى هذا الاستعمال هو اتصالها بالفعل (دام) غالبا فى صورته الماضية ومن أمثلتها فى الاستعمال القرآنى :

١٢١- الرضى . شرح الكافية : ٣٨٦/٢.

١٢٢- ابن يعيش . شرح المفصل : ١٤٣/٨.

١٢٣- سورة البقرة . آية ٢٠ .

١٢٤- ابن هشام . مغنى اللبيب : ٣٠٥/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما »[١٢٥]

« وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا »[١٢٦] .

« لن ندخلها أبدا ما داموا فيها »[١٢٧] .

فالبنية التحتية لها فى هذه التراكيب وأمثالها هى تفسيرها بمصدر مضاف إلى ظرف ، هو مدة دوام ثم حذف الظرف ، وخلفته (ما) وصلتها ، هكذا ذكر ابن هشام مدللا على ذلك بالمصدر الصريح فى قولك جئتك صلاة العصر، وأتيتك قدوم الحاج[١٢٨] ، وواضح أن المصدر فى التركيبين قد ناب عن الظرف بعد حذفه ، والبنية التحتية لهما هى أتيتك وقت صلاة العصر ، ووقت قدوم الحاج .

وقد تقع تالية لفعل غير دام بشرط أن تكون صلتها جملة فعلية ماضية ، وقد مثل لذلك الرضى بقوله : «لا أفعله ما ذر شارق ، أى مدة ما ذر ، أى مدة ذروره »[١٢٩] ومن أمثلة دخولها على غير دام قوله تعالى :

١٢٥- سورة آل عمران . آية ٧٥.

١٢٦- سورة مريم . آية ٣١.

١٢٧- سورة المائدة . آية ٢٤.

١٢٨- ابن هشام . مغنى اللبيب : ٣٠٤/١.

١٢٩- الرضى . شرح الكافية ٣٨٦/٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«فاتقوا الله ما استطعتم»[١٣٠] ، وقوله تعالى : «إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت»[١٣١] ، فالبنية التحتية لـ (ما) ومدخولها في الآيتين هي تفسيره بمصدر مضاف إلى الظرف ، والتقدير :مدة استطاعتكم ، ومدة استطاعتي ، ثم دخلها تحويل بحذف الظرف ، وبتغيير بنية المصدر إلى الفعل.

وواضح من نص ابن هشام السابق أن (ما) المتصلة بـ (كل) في قولهم (كلما) هي من هذا النوع ، أي هي (ما) المصدرية الزمانية ، تفسر بنيتها التحتية بمصدر مضاف إلى الظرف ففي قوله تعالى : «كلما أضاء لهم مشوا فيه» تفسّر بـ «كل وقت إضاءة» ، هكذا فسرها العكبري في قوله : « ما مصدرية ، والزمان محذوف ، أي كل وقت إضاءة »[١٣٢] .

هذا كل ما لدي من حديث عن الوصف التركيبي للعناصر المصدرية المؤولة ، وسوف أحاول فيما يلي أن ألقي الضوء على التفسير الدلالي لها مبيناً سبب التحويل إليها ، والعدول عن المصادر الصريحة التي كانت بناها التحتية تفسر بها ، وذلك - بلا شك - يؤكد وجود صلة بينهما ، تلك الصلة هي التي جعلت علماءنا القدامى يفسرون المصدر المؤول بالصريح ، والصريح بالمؤول في إشارة صريحة منهم إلى وجود نوع من القربى بين

١٣٠- سورة التغابن . آية ١٦ .

١٣١- سورة هود . آية ٨٨.

١٣٢- العكبري . التبيان في إعراب القرآن :١/٣٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التعبيرين ، لذا كان من الحتم طرح هذا التساؤل :

أى النوعين أصل للآخر ؟ وأيهما فرع ؟ وبعبارة أخرى أى النوعين يمثل البنية النواة ؟ وأيهما يمثل البنية المحولة ؟

والإجابة على هذا التساؤل ترتبط بمنهجى فى هذا البحث ، وقد سبق أن نوهت بأننى اهتديت فيه برافدين اثنين : أحدهما : منهج الإمام عبد القاهر فى وجوه الباب الواحد ذاهباً رحمه الله إلى انه ما دامت اللغة قد اصطنعت صيغاً متعددة فى الباب الواحد ، فلابد أن يكون هناك معنى يراد من هذه الصيغة ، لا يتوفر فى تلك، هذا المعنى مرتبط بشكل الصيغة ، وما علينا إلا الكشف عن هذا المعنى ، وربطه بشكل التعبيرى الخاص به فالهدف من الدراسات اللغوية هو المعنى «وربطه بشكله التعبيرى الخاص به »[١٣٣] .

أما الرافد الثانى : فقد كان نموذج النحو التحويلى Transformational Grammar فى تركيزه على الصلات المتشابهة بين أشكال التعبير المتماثلة . فإذا كنا نلاحظ أن ثمة قرابة بين قولنا : أن تذاكر خير من أن تهمل ، وقولنا : المذاكرة خير من الإهمال . فإن تفسير العلاقة بينهما هو دور نموذج النحو التحويلى ، وهذا بخلاف نموذج النحو الوصفى Descriptive Grammar إذ

١٣٣- د .تمام حسان .اللغة العربية معناها ومبناها ص٩ . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ ١٩٧٩م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقصى ما يستطيع هذا الأخير فعله هو تحليل كل جملة على حدة ، دون أن يشير ولو إشارة عابرة إلى أية علاقة تربط بينهما ، ولذا فمثل هذا النموذج قد يرى أن كلتا الجملتين أصل قائم بذاته .والحق أنه «ليس من العلم أن يقف الدرس الوصفى المحض عند حد وصف الظاهرة ، كما هى دون أن يجد تفسيراً لها ، ومن هذا التفسير البحث عن الأصل»[١٣٤] .

ومن ثم فسوف نستبعد احتمال كلا التعبيرين أصل قائم برأسه ، لما قدمناه من أنه يجب تقعيد الحدس الذى يرى وجود صلة بين جملتين ، أو أكثر ، ويقودنا ذلك بالضرورة إلى الحاجة إلى مفهوم التحويل ، أو ما يسميه النحويون العرب العدول عن الأصل ، وهذا المصطلح بخاصة أولع به النحويون إيلاعاً شديداً ، وهو بلا شك يتوافق مع القواعد التحويلية فى النظرية التوليدية والتحويلية . Generative Transformational Theory

ولنعد إلى التساؤل مرة ثانية : أى التعبيرين أصل للآخر ؟ وأيهما محول عن الأصل ؟

وفى هذا الصدد أود أن أحدد فهمى لمعنى الأصالة والفرعية ، إذ قد يتبادر إلى الذهن أننى أعنى أن أحدهما تولد من الآخر تولد الفرع من أصله ولا أجاوز وجه الحقيقة : إذا قلت : إن هذا المعنى لم يخطر لى على بال ،

١٣٤- د . عبده الراجحى . النحوى العربى والدرس الحديث . بحث فى المنهج ص ١٤٤ . دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٩ م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وما أريده فى هذا الصدد ما عناه ابن القيم فى قوله : « إنما هو باعتبار أن أحدهما يتضمن الآخر ، وزيادة وقول سيبويه :أن الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء هو بهذا الاعتبار لا أن العرب تكلموا بالأسماء أولاً ، ثم اشتقوا منها الأفعال ، فإن التخاطب بالأفعال ضرورى كالتخاطب بالأسماء لا فرق بينهما »[١٣٥] .

وإذن فالضابط الجوهرى لمفهوم الأصالة والفرعية هو ما يكون فى الأصل من معنى أولى بسيط فيأتى الفرع ليحمل ما فى الأصل من رصيد دلالى مضيفا إليه شيئاً آخر هو الغرض من الصوغ ، أو لنقل هو الغرض من التحويل إليه ، ولذا فنحن نتفق مع السيوطى فى تعريفه للأصل بأنه «الحروف الموضوعة على المعنى وضعاً أولياً»[١٣٦] ، ولا شك أنه فى حالتنا هذه المصدر الصريح الذى هو - موضوع - على حد قول الرضى[١٣٧] - ليدل على ساذج الحدث .ويعنى ذلك القول أن كل ما يحمله المصدر من رصيد دلالى هو الدلالة على الحدث المجرد ، وقد ذكر الرضى أن المراد من الحدث هو « معنى قائم بغيره ، سواء صدر عنه كالضرب ، والمشى ، أو لم يصدر كالطول ، والقصر »[١٣٨] .

١٣٥- ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد :١/ ٢٥، ٢٦.

١٣٦- السيوطى . الأشباه والنظائر :١/ ٥٦. ١٣٧- الرضى . شرح الكافية : ٢/ ١٩٣.

١٣٨- السابق :٢/ ١٩١.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أما الفرع المحول عن الأصل فهو اللفظ المأخوذ من هذا الأصل حاملاً معناه الدلالى مع زيادة هى الغرض من هذا التحويل ، أو هو - كما يقول السيوطى ، «لفظ يوجد فيه تلك الحروف ، مع نوع تغيير ينضم إليه معنى زائد عن الأصل ، والمثال على ذلك الضرب مثلاً فإنه اسم موضوع للحركة المعلومة المسماة ضرباً ، ولا يدل لفظ الضرب على أكثر من ذلك فأما ضرب ويضرب وضارب ومضروب ففيهما حروف الأصل ، وهى الضاد والراء والباء وزيادات لفظية لزم من مجموعهما الدلالة على معنى الضرب ، ومعنى آخر »[١٣٩] ، وإذا فالمصدر الصريح الدال على ساذج الحدث ، أو مجرد الحدث ، هو الأصل الذى تحول منه المصدر المؤول الذى هو فى الأصل جملة تحولت بتصدر أحد الأحرف المصدرية لها إلى التأويل بالمفرد ، والمراد بالتأويل هنا هو « تفسير مآل الشىء ، وبيان عاقبته التى يصير إليها[١٤٠] ، ونحن فى ذلك متفقون مع المدرسةالبصرية التى ترى أن أصل المشتقات المصدر ، ولهم أدلتهم المذكورة فى ذلك[١٤١] . فهم يرون أن كل فرع يؤخذ

١٣٩- السيوطى . الأشباه والنظائر :١/٥٦.

١٤٠- على النجدى ناصف . من قضايا اللغة والنحو ص٨٢ . القاهرة مكتبة نهضة مصر ١٣٧٦ هـ ،١٩٥٧ م .

١٤١- انظر . ابن الأنبارى . الإنصاف فى مسائل الخلاف . مسألة ٢٨ :١/٢٣٥-٢٤٥. تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . بيروت . دار الفكر دون تاريخ . وانظر : د. محمود سليمان ياقوت . قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين ص ٢٢٦ ،٢٢٧ . القاهرة. دار المعارف ١٩٨٥ م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فرع يؤخذ من الأصل ، ويصاغ منه ينبغى أن يكون فيه ما فى الأصل ، مع زيادة هى الغرض من الصوغ ، والاشتقاق ، وهكذا حال الفعل فيه معنى المصدر مع زيادة أحد الأزمنة التى هى الغرض من وضع الفعل ، لأنه كان يحصل فى نحو قولك لزيد ضرب مقصود نسبة الضرب إلى زيد ، لكنهم طلبوا بيان زمان الفعل على وجه أخصر ، فوضعوا الفعل الدال بجوهر حروفه على المصدر ، وبوزنه على الزمان[١٤٢] . أما لو كان المصدر مشتقًا من الفعل لدل على ما فى الفعل من الحدث والزمان ، ومعنى ثالث ، فلما لم يكن المصدر كذلك دل على أنه ليس مشتقا من الفعل[١٤٣]. ولا شك أن تلك النظرة منهم تتفق مع نظرتنا للتراكيب التحويلية، لأنها من وجهة نظرنا تحمل معني دلاليا إضافياً جاء نتيجة لخروج اللفظ عن معهود حاله .

وإذا كنا قد انتهينا إلى أن المصدر الصريح هو الأصل الذى يتحول عنه المصدر المؤول لما يحمله من دلالة أولية على معنى الحدث المجرد ، أو ساذج الحدث فى قول الرضى ، فإننا نتوقع أن يؤثر حتماً بالتعبير فى التراكيب التى يكون فيها التركيز منصباً على جانب الحدث وحده ، تلك التراكيب التى يتوظف كل ما فيها لبيان هذا المعنى ، معنى الحدث المجرد ، يذكر الرضى : « أن الناظر نظر فى المصدر إلى ماهية الحدث ، لا إلى ما قام

١٤٢- الرضى . شرح الكافية :٢/١٩٢.

١٤٣- أبو البركات الأنبارى . أسرار العربية ص ١٧١ ،١٧٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

به ، فلم يطلب إذاً فى نظره لا فاعلاً ، ولا مفعولاً »[١٤٤] وجاء فى بدائع الفوائد : « إذا قلت يعجبنى صنعك فالإعجاب هنا واقع على نفس الحدث بقطع النظر عن زمانه ، ومكانه وإذا قلت يعجبنى ما صنعت فالإعجاب واقع على صنع ماض ، وكذلك ما تصنع واقع على مستقبل »[١٤٥] وللتأكد من صدق ذلك قمت باختيار عينة عشوائية من بعض التراكيب القرآنية ، جاء التعبير فيها بالمصدر صريحاً ، من ذلك قوله تعالى :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم »[١٤٦] .

« للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر »[١٤٧] .

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض »[١٤٨] .

« بل طبع الله عليها بكفرهم »[١٤٩] .

« فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين »[١٥٠] .

فمن يتأمل تلك التراكيب ليرى السر الدلالى من وراء التعبير بالمصدر الصريح يتبدى له أن جانب الحدث وحده هو المعول عليه فيها ، ففى الآية

١٤٤- الرضى . شرح الكافية : ٢/١٩٤.

١٤٥- ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد : ٢/١٥٦.

١٤٦- سورة البقرة . آية ١٨٧ .

١٤٧- سورة البقرة . آية ٢٢٦ .

١٤٨- سورة البقرة . آية ٢٥١ .

١٤٩- سورة النساء . آية ١٥٥ .

١٥٠- سورة النحل . آية ٨٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأولى أفاد التعبير بالمصدر الصريح " الرفث " إبراز جانب الحدث ، إلى جانب ذلك أفاد علة أخرى هى عدم الزج بالفاعل فى مقام يكون فيه التلميح خيراً من التصريح ، لو جاء التعبير بالمصدر المؤول ، فيكون أن ترفثوا ، والفعل هنا مبدوء بتاء الخطاب التى هى أذهب فى قوة الخطاب، فيدل على التصريح المباشر بفعل الرفث منسوباً إلى المخاطبين فى مقام يكون فيه الزج بالفاعل محل استهجان ، والتعبير بالمصدر صريحاً ناف لذلك كله .

والأمر نفسه فى الآية الثانية ، إذ إن تربص المدة المقررة هو المطلوب ، ولذا انصب التركيز على الحدث مجرداً ، ولو عبر بالمؤول لقال أن يتربصوا بإعادة الضمير على المؤلين أو أن يتربصن بإعادة الضمير على النساء ، وساعتئذ تنحل الدلالة على الحدث المجرد إلى الدلالة على الحدث مع فاعله سواء كان بواو الجماعة ، أو بنون النسوة وفى ذلك تقييد لدلالة التربص . أما التعبير بالمصدر صريحاً يجعل الأمر على إطلاقه ، وأن تربص تلك المدة ينبغى أن يكون من الرجال وزوجاتهم على حد سواء ، وفوق ذلك كله فإن التعبير بالمصدر صريحاً قد أضفى على التركيب نوعاً من الإلزام ، ولو عبر المصدر مؤولا لكان الأمر على الإباحة .والأمر نفسه يمكن أن نقوله فى الآية الثالثة ، إذ إن دفع الله الناس إنما هو على إطلاقه ، أى شاملاً الأزمنة كلها ماضياً وحاضراً ومستقبلاً وتلك سنة الله فى خلقه ، ولو عبر بالمؤول لكان

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

نصاً فى الدلالة على زمن بعينه ، حسب نوع الفعل المذكور وهو خلاف المراد من الآية التى جعلت الدفع على إطلاقه ، دون التقيد بزمن ما .

أما فى الآية الرابعة فيحتمل - والله أعلم - أن يكون المراد من وراء التعبير بالمصدر صريحاً هو إبراز جانب الحدث (الكفر) مصحوباً بعارض من عوارضه ، من مثل شدتهم وقسوتهم فى إيذاء الرسول وأصحابه ، وعنادهم وتكبرهم ، وإذن يكون كفرهم بتلك الكيفية هو السبب فى طبع الله على قلوبهم ولو عبر بالمؤول لكان نفس الحدث هو المراد ، دون احتمال تلك العوارض فيه .ويمكن أن نذكر العلة نفسها فى آية النحل الأخيرة ، إذ يكون المراد بالبلاغ البلاغ الذى تقوم به أنت ، بما فيه من عدم كتمان أمر من أوامر الله عنه ، وتبليغك ما أنزله إليك دون زيادة على ذلك أو نقص منه ، و بما يصاحب ذلك كله من حرص على هدايتهم ، ثم تفويض أمرك لله عند العجز عن هدايتهم ، فإنك لا تهدى من أحببت ، يؤيد ذلك وصف المصدر بقوله المبين ، ولو عبر بالمؤول هنا لأدى إلى أن المراد الحدث نفسه ، دون احتمال هذه العوارض فيه وأيضاً امتناع وصفه .

وخلاصة مقالتى فى هذا الصدد أن اللغة تؤثر التعبير بالمصدر صريحاً عند إرادة التكشيف على جانب الحدث مجرداً ، مع احتمال عارض من عوارضه ، دون أن يراد زمنه ، أو فاعله أو حتى توكيده ، أو تمنيه كما سوف نرى عند الحديث عن أغراض التحويل إلى المصدر المؤول ، وسوف نرى أنها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

متنوعة نتيجة لتنوع الحروف المصدرية، مع الأخذ فى الحسبان أن العنصر المصدرى الواحد قد يفيد أكثر من وجه دلالى فى التركيب الواحد ، مع أننا سوف نعرض لوجه دلالى واحد ، وذلك نظراً لضيق مساحة البحث ، ومحدوديته .

الأسرار الدلالية للتراكيب المحولة . وكيفية التحويل :

تقتضى الأمانة العلمية فى البدء أن أنسب الافضل لأهله ، وأرجع الخير لذويه ، وفى هذا الصدد ينبغى أن أقر بأن فكرة هذا البحث تعود إلى ما قرأته للإمام السهيلى فى كتابه نتائج الفكر من إبراز الجوانب الدلالية للمصدر المؤول من "أن "المصدرية مع الفعل التى كانت سبباً للعدول عن المصدر الصريح مع أنه أخصر - على حد قول السهيلى[١٥١] .

وكانت تلك القراءة هى الشرارة التى دفعتنى للمضى فى البحث ، إذ إنها صادفت اقتناعاً سابقاً فى نفسى بضرورة ربط المعانى النحوية بمدلولات التراكيب المختلفة ، وهذا - فيما أرى - أساس نظرية النظم التى نادى بها الإمام عبد القاهر الجرجانى ، إلى جانب فكرة العدول عن الأصل التى عول عليها النحاة فى تفسيرهم لكثير من التراكيب اللغوية ، فإذا أضيف إلى ذلك فكرة التحويل فى النظرية التوليدية والتحويلية التى ركزت على

١٥١- السهيلى . نتائج الفكر ، ١٢٦ وانظر: ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد: ١/١٠١، ١٠٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الصلات المتشابهة بين أشكال التعبير المتماثلة فيكون ثمة دافع قوى للمضى فى هذا البحث .وقد ذكر السهيلى ثلاثة أسباب تراءت له للتحويل إلى المصدر المؤول من (أنْ) والفعل ، فإذا أضفت إليها ما تراءى لى من خلال تأملى للنصوص وما استنتجته من أقوال نحاتنا القدامى تبدت لنا تلك الأسباب فى الآتى :

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

السبب الأول : أن التعبير بالمصدر صريحاً يدل على الحدث مجرداً «وليس فى صيغته ما يدل على مضى ولا استقبال ، فجاءوا بلفظ الفعل المشتق منه مع (أن) ليجتمع لهم الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان، ويعنى ذلك القول بواضح العبارة أن التحويل من المصدر الصريح إلى المصدر المؤول إنما كان ليفيد إلى جانب الحدث الدلالة على الزمان ، إذ إن المصدر المؤول من (أنْ) والفعل يتركب إلى جانب الحرف المصدرى من فعل ، والفعل يحمل فى بنيته الدلالة على الزمان ، ومن خلال الفعل نتبين الدلالة على زمنه،وقد سبق أن أشرنا إلى أن (أن) المصدرية تدخل على أنوع الفعل الثلاثة ، فإن كان الفعل ماضياً دل على أن حدثه قد أنجز فيما مضى ، وإن كان مضارعا أو أمراً محضته للدلالة على المستقبل .ولنتأمل دخولها على المضارع فى خبر (عسى) فى قوله تعالى: « عسى الله أن يأتى بالفتح »[١٥٢] .

فمن الواضح أن هذا التركيب القرآنى مكون من الفعل (عسى) + اسمه(الله) +خبره (أن يأتى بالفتح) وبأدنى تأمل للخبر نتبين أنه مكون من ركن إسنادى مكون من الأداة (أن) + مسند (يأتى) + مسند إليه هو الضمير المستتر (هو)، يمكن تمثيله بالمشجر التالى :

ركن إسناد

أداة	مسند	مسند إليه
أن	فعل	ضمير مستتر
	يأتى	(هو)

١٥٢- سورة المائدة. آية ٥٢ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هذا الركن الإسنادى يفسر فى بنيته التحتية بالمفرد :هكذا : عسى الله إتيانه بالفتح ،وقد تم تحويل إجبارى من هذه البنية الإفرادية إلى البنية الإسنادية ،وذلك بالطبع راجع إلى النظام القاعدى فى العربية الذى يجعل خبر هذا الفعل وإخوته ركناً إسنادياً مكوناً من فعل مضارع مع فاعله .أما لماذا تم هذا التحويل الإجبارى فيوضحه قول ابن الأنبارى : «لما كانت (عسى) موضوعة لمقاربة الاستقبال ، و (أن) تخلص الفعل للاستقبال ألزموا الفعل الذى وضع لمقاربة الاستقبال (أن) التى هى علم الاستقبال»[١٥٣] . إن السر الدلالى من وراء التعبير بـ (أن) فى الآية هو تخليص الفعل للدلالة على المستقبل ، حتى يكون بينها وبين (عسى) التى وضعت لمقاربة المستقبل اتفاق فى الهدف الدلالى مما يدل على أن اختيار العناصر اللغوية لما يجاورها لا يرد اعتباطاً أو عشوائياً بل إن كل عنصر له هدف دلالى لا يقوم إلا به ، ودليل ذلك يوضحه عبد القاهر عندما عقد موازنة بين: عسى زيد أن يخرج ، وقارب زيد الخروج فيقول : «يوضح ذلك أنك إذ قلت قارب زيد الخروج لم يكن فى اللفظ دليلا على أنك تريد خروجاً فيما يستقبل ، ألا ترى أنك لو قلت قارب زيد أمس الخروج كان جائزاً ، فلو قلت على هذا : عسى زيد الخروج لم تتضح الدلالة على أنك تقرب المستقبل»[١٥٤] . لكن كيف تم التحويل فى مثال عبد القاهر من المعنى التحتى إلى الملفوظ السطحى ؟ لنوضح أولاً الأصل التحتى وهو مركب من فعل (عسى) + اسم (زيد) + خبر (الخروج) ، بالشجر التالي

١٥٣- أبو البركات الأنبارى . أسرار العربية ص ١٢٧ .

١٥٤- الجرجانى . كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح :١/٣٥٦، ٣٥٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

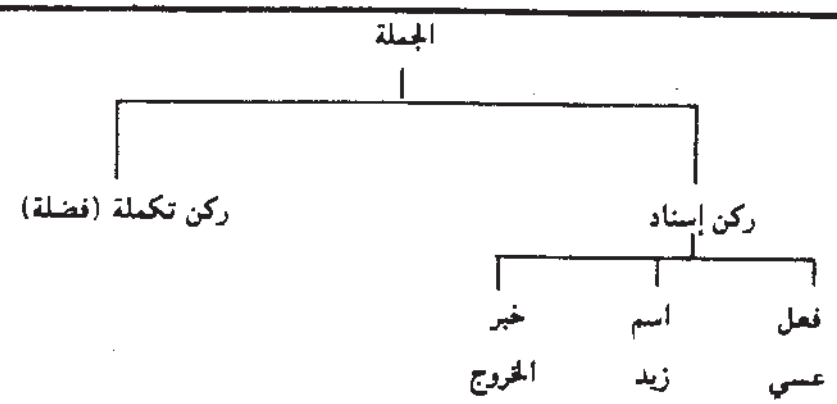

وقد حدثت عدة عمليات تحويلية إجبارية حتى انتهى إلى بنيته السطحية هى:

١ - إدخال مورفيم (أنْ) المصدرية ، للدلالة على حدوث الفعل فى المستقبل .

٢ - تحويل مورفولوجى بتغيير بنية المصدر إلى بنية (يفعل) ، حتى يتسق مع النظام القاعدى للفعل (عسى) فى اللسان العربى الذى يمنع الإخبار باسم الحدث الأحادى الدلالة عن أفعال المقاربة ، ومنها بالطبع (عسى) ، فصار التركيب : عسي زيد أن يخرج يمكن تمثيله بالمشجر التالى :

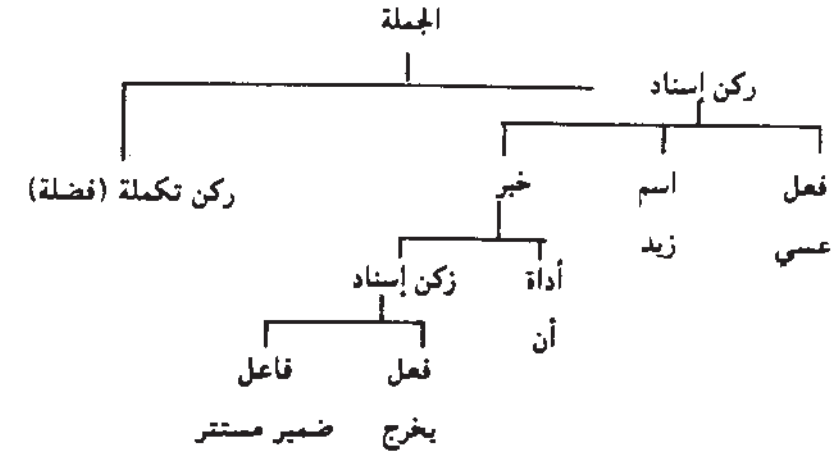

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد تم التحويل - كما ذكرنا - ليتم الاتفاق بين الفعل (عسي) الموضوع لمقاربة الاستقبال ، و(أنْ) المصدرية التي هي علم الاستقبال . والأمر كذلك إذا شغل المصدر المؤوّل وظيفة الفاعل فى حال استعمال الفعل (عسى) تاماً ، يشير إلى هذا قول الإمام عبد القاهر : «اعلم أنك إذا قلت عسى أن يخرج زيد كان بمنزله قولك :قرب أن يخرج زيد ، لما ذكرنا من أنهم قصدوا أن لا يتجرد اللفظ من علم الاستقبال ، ولم يحتج هنا إلى خبر ، كما احتيج إلى ذلك فى قولك عسى زيد أن يخرج ، وذلك أن الغرض تقريب الخروج ، لا تقريب زيد»[١٥٥] ، وإذن فالمعنى التحتى لقولنا :عسى أن يخرج زيد ، هو عسى خروج زيد ، يمكن تمثيله بالمشجر التالى :

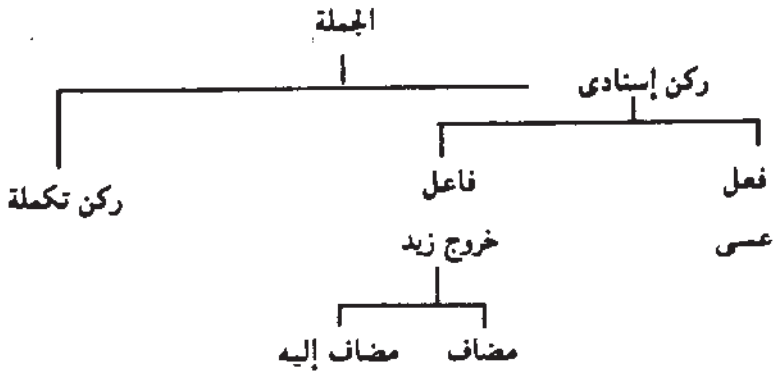

ثم تم التحويل تحويلاً إجبارياً بنفس القاعدتين التحويليتين السابقتين بإدخال العنصر المصدرى (أن) لئلا يتجرد اللفظ من علم الاستقبال ، ثم بتحويل بنية المصدر إلى بنية (يفعل) حتى يتسق مع النظام القاعدى للفعل (عسى) فى اللسان العربى .ثم إن السياق قد يوجب تحولاً دلالياً للفعل

١٥٥-السابق:١/٣٥٧.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(عسى) فتجنح صوب الدلالة المعجمية للفعل (كاد) فى إفراط تقريب الشىء من الحال، مما يجعلها تند عن الدلالة فى المستقبل ، إلى الدلالة الحالية ، فيأتى التركيب معها خالياً من (أن) لهذا التحول الدلالى الذى تبوأته .

وقد نص على ذلك النحاة ، يذكر ذلك الأنبارى ، فيبين أن (كاد) من أفعال المقاربة كما أن (عسى) كذلك ، «ولهذا الشبه بينهما جاز أن تحمل عليها فى حذف (أن) من خبرها»[١٥٦] وإنما حذفت (أن) من خبر (كاد) ، لأن (كاد) أبلغ فى تقريب الشىء من الحال ، وعسى أذهب فى الاستقبال ، ألا ترى أنك لو قلت :كاد زيد يذهب بعد عام لم يجز ، لأن (كاد) توجب أن يكون الفعل شديد القرب من الحال، ولو قلت عسى الله أن يدخلنى الجنة لكان جائزاً ، وإن لم يكن شديد القرب من الحال ، فلما كانت (كاد) أبلغ فى تقريب الشىء من الحال حذف معها (أن) التى هى علم الإستقبال»[١٥٧] وواضح من النص أن الدلالة المعجمية للفعل (كاد) من حيث كونها قصد بها التقريب من الحال جداً، أبت أن تقع (أن) فى خبرها ، حتى لا تتناقض تلك الدلالة مع (أن) التى هى علم الاستقبال، وناسب ذلك الفعل (عسى) ، غير أنه لما انتقلت الدلالة فى (عسى) من المستقبل إلى التقريب من الحال أشد تقريب لم يرد فى خبرها (أن) ومثلوا بذلك بقول الشاعر :

عسى الكرب الذى أمسيت فيه ... يكون وراءه فرج قريـــــب

ولا يقتصر هذا المعنى الدلالى لـ (أن) المصدرية على الفعل (عسى) وحده ، بل إن لها تلك الخاصية فى كل تركيب اقترنت فيه بفعل من بنية

١٥٦- الأنبارى . أسرار العربية :١٢٨.

١٥٧- السابق :١٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(يفعل) المضارعة ونحوها ، ولذا نود أن نسوق مثالاً آخر ، حتى نتأكد من هذا المعنى الدلالى لـ (أن) والمثال من القرآن الكريم ، فى قوله تعالى :

«حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم
وأن تجمعوا بين الأختيـــــــن»[١٥٨]

فقد ذكر المفسرون أن قوله تعالى :«وأن تجمعوا» فى محل رفع عطفاً على مرفوع (حرمت) وفسروا بنيته التحتية بقولهم :وحرم عليكم الجمع[١٥٩] غير أنه لو جاء بالمصدر صريحاً لأفضى ذلك إلى أن الجمع بين الأختين مضاف إلى باقى المحرمات السالف ذكرها فيما مضى من الزمان والأمر بخلاف ذلك ، إذ إن الجمع بين الأختين لم يكن محرماً عندهم تحريم الأم ، والبنت بدليل أن بعض الصحابة كان جامعاً لأختين قبل نزول الآية ، وفرق بينهما بعد نزولها .وإذن فالسر الدلالى من مجىء المصدر مؤولا هنا هو الدلالة على المستقبل، وأن الحكم بذلك يكون فيما يستقبل وهذا ـ فيما أرى ـ هو السر الدلالى للتعبير بالمصدر المؤول .

وإذا كانت (أن) هنا دلت على الاستقبال تنصيصاً فإنها قد تدل عليه ضمناً ، ومن ذلك قوله تعالى : «أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله» (غافر ٢٨) فالمعنى فى الآية ـ فيما أرى ـ أنه قال ذلك ومستمرعليه ، ولعل معنى الاستمرار هذا هو المقصود إذ إنه يشمل الزمن عموماً ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، ومن ثم تكون دلالتها على الاستقبال ضمناً .وقد تم التحويل بالقاعدتين أنفسهما اللتين سبق ذكرهما ، وهما : -

١٥٨- سورة النساء . آية ٢٣ .

١٥٩- الزجاج . معانى القرآن وإعرابه: ٢/ ٣٥. انظر : الزمخشرى . الكشاف : ١/ ٤٩٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١- قاعدة الزيادة للعنصر المصدرى (أن) ، للدلالة على الاستقبال .

٢ - قاعدة التحويل المورفولوجى بتغيير بنية المصدر (الجمع) الأحاديّ الدلالة إلى بنية (يفعل) الدالة على الحدث والزمن معاً .

لكن ماذا عن اقتران (أن) ببنية (فعَل) الماضوية ؟

لاشك أن الدلالة ستتحول من بنية المصدر فى التفسير التحتى للتركيب ، وهى - كما نعلم - أحادية الجانب إلى معنى ثنائى الدلالة اكتسب تلك الثنائية من الفعل الماضى ، الذى يدل ببنيته على الحدث والزمن معاً ، والزمان هنا ماضٍ. وقد نص على ذلك النحاة ذاكرين أن دلالة (أن) مع مدخولها على الزمن لا تعدو اثنتين ، إما المستقبل فى حال دخولها على بنية (يفعل) ونحوها ، وإما الماضى فى حال دخولها على بنية (فعل) ، وأما الحال فقد تكفل به عنصر مصدرى آخر هو (ما) شريطة أن تدخل على فعل من بنية (يفعل) المضارعة[١٦٠] ولنتأمل التركيب القرآنى التالى :

« وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى »[١٦١] .

والبنية العميقة للمصدر المؤول (من بعد أن نزغ الشيطان) هى (من بعد نزغ الشيطان) والنزغ مصدر أحادى الدلالة ، لا يشمل إلا جانب الحدث ولأن التعبير القرآنى آثر الإتيان بالحدث مقترناً بزمنه الذى هو الماضى ، فقد تم التحويل من المعنى العميق الأحادى الدلالة إلى هذا الركن المؤول ليفيد إلى جانب الحدث زمنه ، ولأن زمان الحدث قد أنجز فعلاً ، لذا جاء بمدخول الحرف المصدرى (أن) فعلاً ماضياً لهذا السبب ولعله صار واضحاً أن

١٦٠- راجع : الشيخ خالد الأزهرى . شرح التصريح : ٦٢/٢ .

١٦١- سورة يوسف . آية ١٠٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التحويل قد تم باتباع قاعدتين من قواعد التحويل هما قاعدة التحويل بالزيادة ، حيث زيد العنصر المصدرى (أن) ، وقاعدة التحويل المورفولوجى بتحويل بنية المصدر إلى بنية الفعل الماضى ، للدلالة على الحدث وزمنه .

ومادمنا فى سياق الحديث عن أن بيان الزمن غرض من أغراض التحويل فإنه يحسن بنا فى هذا الصدد أن نعرج صوب الحرف المصدرى الذى تكفل مع مدخوله ببيان عنصر الزمن الحاضر ، وهو (ما) المصدرية ، نص على ذلك نحاتنا ذاكرين أن (ما) حال دخولها على الفعل المضارع لا تفيد إلا الزمن الحاضر ، يقول فى حاشية شرح التصريح : «والغرض أنه إذا كان الزمان حالاً، لا يكون (أن) حالة مع الفعل محل المصدر ، بل (ما) »[١٦٢] ، ولم تأت (أن) هنا لما سبق أن قلناه عنها بأنها علم الاستقبال ، «وهى إذا كان الزمان حاضراً غير ممكنة لمنافاتها له ، بخلاف (ما) ، فإنها لا تنافيه »[١٦٢] . ولنتأمل التركيب التالى :

«قالوا دع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض»[١٦٣] .

«أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون»[١٦٤]

وباقترابنا من التركيب المحول فى الآيتين نجده مكوناً من عملية إسنادية، محولة من بنية إفرادية عميقة ، ويمكن التمثيل لكلتا البنيتين في الآية الثانية بالمشجرين التاليين :

١٦٢- حاشية شرح التصريح : ٦٢/٢.

١٦٣- سورة البقرة . آية ٦١ .

١٦٤- سورة البقرة . آية٧٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

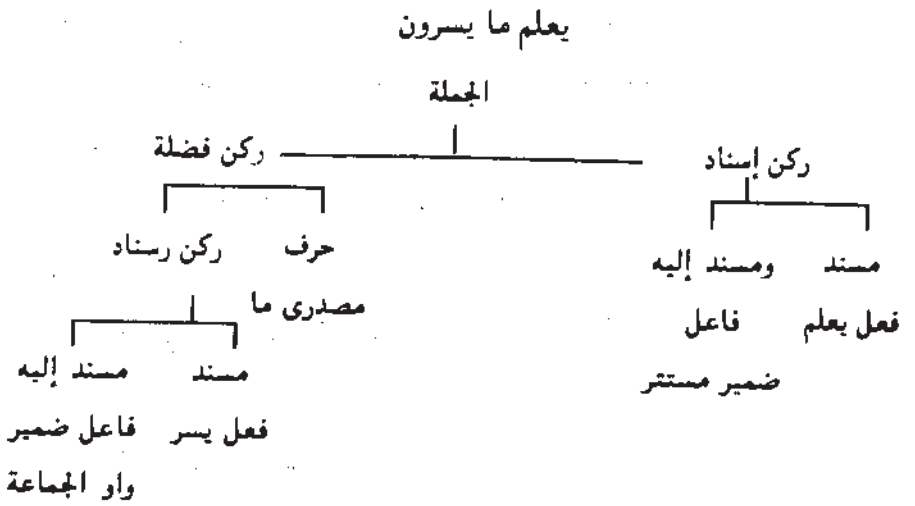

وهذا الملفوظ السطحى للعنصر المصدرى المؤوّل محول من بنية إفرادية فى المعنى العميق هى إسرارهم يمكن التمثيل لها بالمشجر التالى :

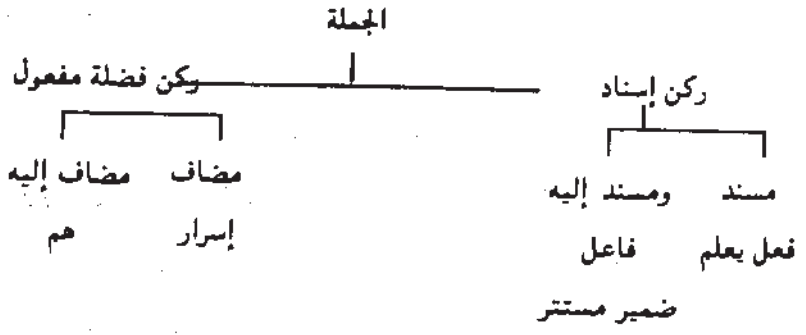

وبذا نتبين أن العملية الإسنادية فى المصدر المؤوّل لا تعدو أن تكون صورة من صور تحويل المفعول به من بنية إفرادية في المشجر الثانى إلى بنية مركبة في المشجر الأول الذى يشير إلى البنية السطحية. ولما كانت البنية الإفرادية فى المشجر الثانى الذى يشير إلى المعنى العميق أحادية الدلالة ، لا تدل إلا على الحدث مجرداً ، وليس فيها ما يدل على زمنه ، تحول

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

التركيب إلى فعل ، ليدل ببنيته على الحدث وزمنه ، ولأن المعنى المراد من الآية الدلالة على الزمن الحاضر ، كان الفعل المحول من بنية (يفعل) المضارعة ، وكان الحرف المصدرى (ما) الذى لا ينافى دلالة الحاضر ، بخلاف (أن) التى تصرف الفعل المضارع للاستقبال .وقد تم التحويل بقاعدتين من قواعد التحويل ، هما :

الأولى : قاعدة الزيادة حيث زيد الحرف المصدرى (ما) الذى يصلح للدلالة على الحاضر .

الثانية : قاعدة مورفولوجية : بتحويل بنية المصدر إلى بنية الفعل المضارع لتناسب الدلالة الزمنية مع الحرف المصدرى .

وقد سبق أن أشرت إلى أن دلالة (ما) على الحاضر مشروطة بكون مدخولها فعلاً من بنية (يفعل) المضارعة ، فإن كان مدخولها فعلاً من بنية (فعل) الماضوية فلاشك أن الدلالة المفادة فيها ستكون بنية مركبة من عنصر الحدث مقترنا بزمن أنجز ومضى ، وقد نص على ذلك نحاتنا القدامى ذاكرين أن اختلاف أبنية الفعل بعد ما اشتق من المصدر لم تكن إلا لاختلاف أحوال ابنية الحدث من مضيٍ ، واستقبال[١٦٥] . ولنتأمل التركيب التالى : ما أحسن ما فعلت .فالتركيب المحول فى المثال مكون من عملية إسنادية محولة بدورها من معنى إفرادى عميق هو : ما أحسن فعلك يمكن التمثيل له بالمشجر التالى :

١٦٥- السهيلى . نتائج الفكر : ٤٣٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

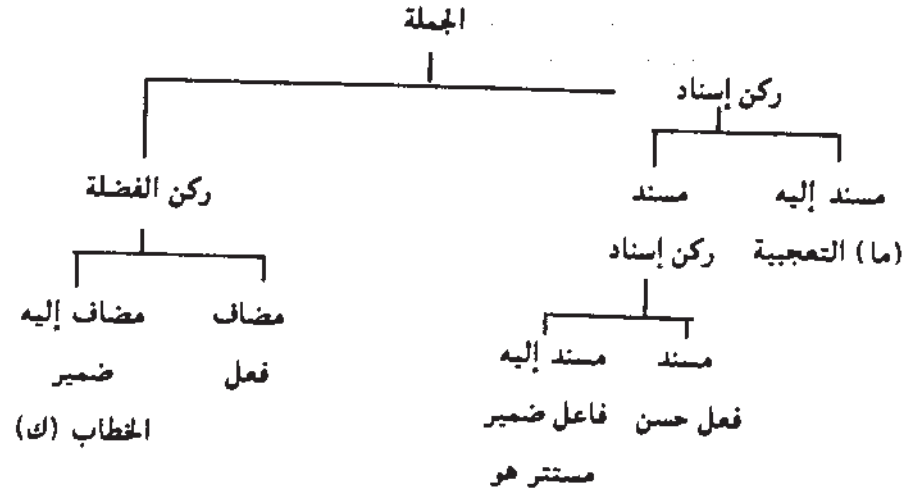

وقد تحول ركن الفضلة فى الملفوظ إلى بنية إسنادية ، تمثيلها فى المشجر التالى :

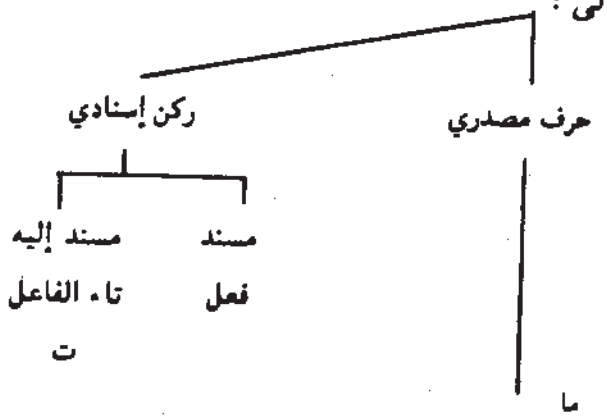

وقد تم التحويل إلى هذا الركن الإسنادى ، لما ذكرنا من أن المتكلم أراد التعجب من حدث أنجز فعله ، ومضى ، بدلا من المصدر الدال على الحدث وحده .ولسنا فى حاجة إلى التذكير بكيفية التحويل التى جرت على هذا الملفوظ التركيبى ، إذ تم بالقاعدتين نفسيهما التى سبق ذكرهما .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

السبب الثاني للتحويل إلى المصدر المؤول -:الإخبار عن الفاعل :

مضى بنا القول أن الغرض الدلالي من وراء ذكر المصدر صريحا هو التكثيف على جانب الحدث وحده ، دون اللوازم الأخرى لهذا الحدث كالنص على ذكر الزمن ، أو الفاعل ، حتى إننا لا نقدر فاعلا لهذا الحدث عند إضماره ، وذلك بخلاف الفعل الذى يدل ببنيته على معنى فى الاسم ، ولذا «وجب أن لا يخلو عن ذلك الاسم ، مضمرا ، أو مظهراً »[١٦٦] . فليس بلازم على المحلل لتركيب مثل قوله تعالى : «أو إطعامٌ فى يوم فى ذى مسغبة يتيما »[١٦٧] أن يقدر فاعلا مضمرا للمصدر (إطعام) .أما عند إظهار الفاعل مع التركيب المصدرى فإنه يظهر مجرورا به على الإضافة لا مرفوعا «والمضاف إليه تابع للمضاف ، ومستحق للخفض ... فإذا أرادوا أن يخبروا عن الاسم الذي هو فاعل للحدث لم يمكن الإخبار عنه ، وهومخفوض ، تابع فى اللفظ لغيره، وحق المخبر عنه أن يكون مرفوعا مبدوءاً به للحكمة المذكورة فى باب المبتدأ[١٦٨] . فلم يبق إلا أن يدخلوا عليه حرفا يدل على أنه مخبر عنه ، كما تدل الحروف على معان فى الأسماء ، وهذا لو فعلوه لكان الحرف حاجزا بينه وبين الحدث فى اللفظ ، والحدث الذى هو حركة الفاعل فى المعنى يستحيل انفصاله عن الفاعل ، كما يستحيل انفصال الحركة عن محلها فوجب أن يكون اللفظ غير منفصل ، لأنه تابع

١٦٦- ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد:١/٣٢.

١٦٧- سورة البلد آيتا ١٤ ،١٥ .

١٦٨- ذكر المحقق أن ما قاله هناك هو : «الرافع للاسم المبتدأ كونه مخبراً عنه ، لأن كل مخبر عنه يقدم فى الرتبة ، فاستحق من الحركات أثقلها ، لأن أوائل الألفاظ والكلام أولى بالثقل ،وأحمل له » نتائج الفكر ،٦٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للمعنى .ولما بطل جعل الاسم مخبرا عنه مع بقاء لفظ الحدث على حاله ، وبطل إدخال حرف يدل على كونه مخبرا عنه لم يبق إلا أن تشتق من لفظ الحدث لفظا يكون كالحرف فى النيابة عنه دالا على معنى فى غيره ، ويكون متصلا اتصال المضاف بالمضاف إليه ، وهو الفعل المشتق من لفظ الحدث ، فإنه يدل على الحدث بالتضمن ، ويدل على أن الاسم مخبر عنه ، لا مضاف إليه ، إذ يستحيل إضافة الفعل إلى الاسم[١٦٩] .

وإذن فالسر الدلالى من وراء اشتقاق الفعل من المصدر هو الدلالة على كون الفاعل مخبرا عنه ، إذ لا يمكن الإخبار عنه ، وهو فى موقع المضاف إليه، لأنه حالتئذ تابع للمضاف ، وهذا بخلاف الفعل الذى يحمل بين طياته دلالة حتمية على ما قام بالحدث ، وقد نص النحويون على أن صيغة الفعل تحمل التنبيه على سائر لوازم الحدث ، كالزمن ، والفاعل ، ففى مثل قولنا : أفعل وتفعل دلالة على الفاعل المستتر .وقد سبق أن نوهت فى بحث لى عن صيغ الأمر فى العربية بقيمة هذا التقدير للفاعل ، وبأنه استجابة بدهية لنداء العقل الذى يلتمس اطراد القاعدة فى انبناء الجملة الفعلية على طرفى إسناد :فعل + فاعل فى الحد الضرورى لها ، وهذا ما جعلهم يقولون بصلاحية الضمير للبروز والاستتار .ولنتأمل التراكيب القرآنية التالية :

«وكم من ملك فى السماوات لا تغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله»[١٧٠] .

« لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله »[١٧١] .

١٦٩- السهيلى . نتائج الفكر : ٦٧،٦٨ ، وانظر : السيوطى : الأشباه والنظائر : ٥٩/١ .

١٧٠- سورة النجم . آية ٢٦ .

١٧١- سورة المائدة . آية ٨٠ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين »[١٧٢] .

فالتركيب المحول فى الآية الأولى مركب من عملية إسنادية محولة بدورها من معنى إفرادى عميق تقديره (إلا من بعد إذن الله) ، ثم أريد الإخبار عن فاعل الحدث ، وهو مرفوع ، ولا يمكن ذلك مع بقاء لفظ الحدث على إفراده ، إذ لا يمكن الإخبار عنه وهو مضاف تابع فى اللفظ لغيره ، فتم التحويل إلى التركيب الإسنادى المركب من فعل مشتق من لفظ الحدث، وذلك لأنه يدل على الحدث بالتضمن ، كما يدل على أن الاسم مخبر عنه ، وقد تم التحويل بزيادة العنصر المصدرى (أن) ، وبتحويل مورفولوجى من لفظ الحدث إلى الفعل .

وثمة سبب آخر يمكن أن نذكره فى هذا الصدد ، يتمثل فى أن المصدر الصريح لا يمكنه بتركيبه الإفرادى توضيح ما إذا كان معموله فاعلا ، أو نائب فاعل ، فكلاهما يأتيان فى موقع المضاف إليه المجرور لفظا ، وهنا يجب الإتيان بالمصدر مؤولا ، لأنه ببنيته الإسنادية يستطيع بيان ما إذا كان معمول الفعل فاعلا ، أو نائب فاعل ، وذلك عن طريق تحويل حركات الفعل من فعل مبنى للمعلوم إلى آخر مبنى للمجهول .ولنتأمل هذا التركيب القرآنى : « قال موعدكم يوم الزينة وأن يُحشَر الناسُ ضحى »[١٧٣] .

فالركن المحول فى الآية (أن يحشر الناس) مركب من بنية إسنادية محولة من ركن إفرادى فى المعنى العميق ، وجاء معطوفا على الخبر ، والتقدير (موعدكم حشر الناس) ، ولما كان الركن المصدرى لا يتكفل ببيان

١٧٢- سورة المائدة . آية ٨٤ .

١٧٣- سورة طه . آية ٥٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ما إذا كان معموله المضاف فاعلا ، أو نائب فاعل ، تم التحويل إلى الركن الإسنادى لبيان ذلك .وقد تم التحويل باتباع القاعدتين أنفسهما اللتين سبق ذكرهما ، وهما قاعدة التحويل بالزيادة ممثلة فى زيادة العنصر المصدرى (أن) ، وقاعدة التحويل المورفولوجى من بنية المصدر إلى بنية الفعل المبنى للمجهول ليعلم أن معمول الفعل نائب فاعل ، لا فاعل .

السبب الثالث للتحويل إلى المصدر المؤول:

أن التعبير بالمصدر المؤول- كما يذكر السهيلى[١٧٤] - إنما يدل على مجرد معنى الحدث ، دون احتمال معنى زائد عليه ، "ففيه تحصين للمعنى من الإشكال ، وتخليص له من شوائب الاحتمال "[١٧٤] .ولنتأمل قوله تعالى : «وأن تصوموا خير لكم»[١٧٥] . فالركن المحول فى الآية مركب من عملية إسنادية مكونة من العنصر المصدرى (أن) + مسند (تقولوا)+ مسند إليه مورفيم واو الجماعة . ويفسر هذا الركن الإسناد بمعنى تحتى هو صومكم ، يمكن التمثيل لها بالمشجر التالي :

١٧٤- السهيلى . نتائج الفكر : ١٢٦، ١٢٧ .

١٧٥- سورة البقرة . آية ١٨٤ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

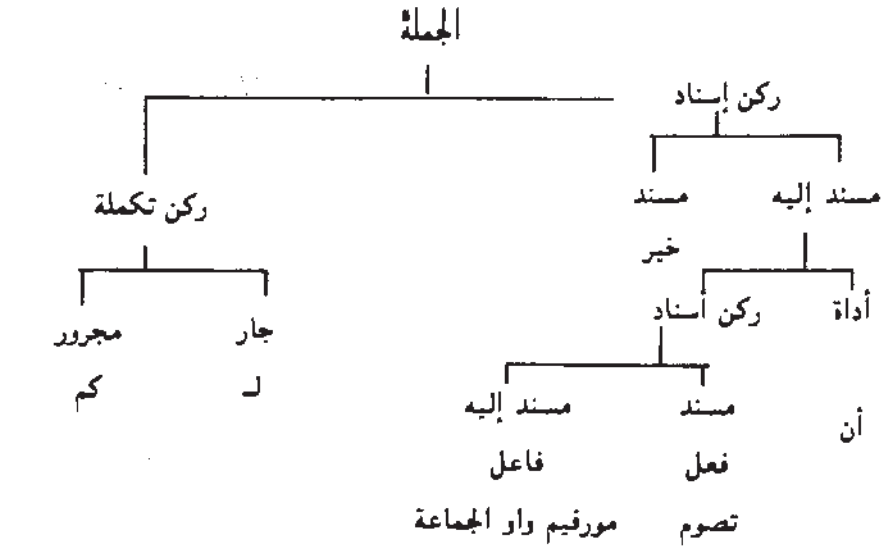

في مقابل المعنى التحتي للركن الإسنادي الذي يمكن التمثيل له بالمشجر التالي :

فالمسند إليه في المشجر الأول عبارة عن تركيب اسنادي محول عن بنية إفرادية في المشجر الثاني .

ولعله صار واضحاً أن التحويل قد تم بنفس القاعدتين السابقتين :

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قاعدة الزيادة ، وقاعدة التحويل المورفولجى . أما لماذا تم التحويل من ركن المصدر الأحادى الدلالة إلى العنصر المصدرى وفعله ، فهو ماسقناه عن السهيلى من أن المصدر المؤول من (أن) والفعل تكون دلالته على الحدث دون احتمال معنى زائد عليه ، وتفسير ذلك أنتا إذا قلنا :صومكم خير ، فقد يفيد أن فى هذا الصوم ركناً ، أو صفة ، أو هيئة هى التى أوجبت الحكم له بالخيرية ، ويحتمل أيضاً أن مجرد الصوم بوصفه حدثاً خير ، دون قصد صفة من صفاته ، يقول السهيلى : «إذا قلت كرهت خروجك ، أو أعجبنى قدومك احتمل الكلام معانى منها أن يكون نفس القدوم هو المعجب لك ، دون صفة من صفاته ، وهيئاته ، وإن كان لا يوصف فى الحقيقة بصفات ، ولكنها عبارة عن الكيفيات، واحتمل أيضاً أن تريد أنك أعجبتك سرعته ، أو بطؤه أو حالة من حالاته ، فإذا قلت : «أعجبنى أن قدمت كانت على الفعل (أن) بمنزلة الطابع والعنوان ، من عوارض الاحتمالات المتصورة فى الأذهان »[١٧٦]. ويعنى ذلك أن اقتران الفعل بـ (أن) تخلصه من تلك الاحتمالات التى تعرض للمصدر ، إذا جئنا به صريحاً .

ولعله من أجل ذلك أجازوا وصف المصدر الصريح بصفة من صفاته ، أو الإخبار عنه بشىء من ذلك ، وامتنع ذلك فى المؤول ، تقول مثلاً :بهرنى تواضعك الحميد ، كما تقول :تواضعك حميد ، ولا تقول: بهرنى أن تتواضع حميد ، ولا أن تتواضع حميد ، فأن مع الفعل تحيل الركن المؤول إلى ركن يفهم منه الحدث دون عارض من عوارضه المتصورة .

وقد استند السهيلى إلى هذه الخاصية لـ (أن) فى جعل (أن) المفسرة

١٧٦- السهيلى . نتائج الفكر : ١٢٦، ١٢٧ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مصدرية ، إذ إنها على حد قوله - «تحصين لما بعدها من الاحتمالات ، وتفسير لما قبلها من المصادر المجملات التى فى معنى المقالات والإشارات»[١٧٧] ولتفسير ذلك نلقى الضوء على التركيب القرآنى التالى :

« وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً »[١٧٨] .

والركن المحورى فى الآية وهو ركن المفعول (أن اتخذى) مركب من عملية إسنادية طرفاها : المسند الفعل ، والمسند إليه ضمير المخاطبة ، وكلاهما يفسر فى البنية العميقة بالمصدر (الاتخاذ) ، وهو أحادى البنية قد يفهم منه عارض من عوارضه ، ولذا تم التحويل بقاعدتى التحويل السابقتين ليخلص العنصر المصدرى الزائد الحدث من تلك الاحتمالات العارضة ، لو جئنا بالمصدر صريحاً ، فالمقصود فى الآية هو مجرد اتخاذ الجبال بيوتاً ، وليس اتخاذاً مخصوصاً ، أو مقيداً بصفة ما .

وثمة سبب آخر للتحويل فى الآية يعود إلى أن التعبير بالمصدر صريحاً يؤدى إلى تفويت معنى الأمر المفاد من لفظة (افعل) .

السبب الرابع من أسباب التحويل إلى المصدر المؤول:

ماجاء على لسان السهيلى من أن (أنْ) «تدل على إمكان الفعل ، دون الوجوب والاستحالة»[١٧٩] وبيان ذلك يتمثل فى أن الحدث المفاد من (أن) ومدخولها يأخذ ظلالاً دلالية ، لا توجد فى الحدث المجرد المفاد من المصدر الصريح ، إذ تضفى (أن) على الحدث نوعاً من الإمكانية ، والرجاء

١٧٧- السابق :١٢٨ .

١٧٨- سورة النحل . آية ٦٨ .

١٧٩- السهيلى : نتائج الفكر : ١٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فى وقوعه، ولا تفيد بحال القطع بحصوله ، ولنتأكد من صدق هذه الفرضية لابد لنا من وقفة مع هذا النموذج القرآنى : «إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»(١٨٠) .

فالركن المؤول فى الآية هو (أن تقولوا) والنظر إليه يهدى إلى أنه مركب من ركن إسنادى تمثيله فى : الآتى : عنصر مصدرى (أن) + مسند (الفعل تقولوا) + مسند إليه مورفيم واو الجماعة ، وهذا الركن الإسنادى محول عن معنى تحتى إفرادى هو (القول) غير أنه عدل عن هذا المعنى الإفرادى إلى التركيب المحول ، لما فيه من سر دلالى يختلف عن المعنى الدلالى للمصدر الصريح الذى يوحى بتأكد دلالة الحدث ووقوعه ، ولذا جاء التعبير به صريحاً فى قوله : بالسوء والفحشاء ، فالأمر بذلك من الشيطان لهم واقع لا محالة ، غير أنه عندما تعلق الأمر بالقول على الله مالا يعلمونه جاء بالمصدر المؤول الذى يوحى بإمكان وقوع ذلك من المأمورين ، إذا هم اتبعوا أوامر الشيطان ، فليس فى التعبير قطع بحصول ذلك منهم ، لما فى (أن) من الدلالة على الاستقبال ، مع الدلالة على إمكانية وقوع ذلك منهم إذا هم تتبعوا خطوات الشيطان .ولسنا فى حاجة إلى التذكير بكيفية التحويل إلى هذا الركن المصدرى المؤول إذ إنه تم باتباع القاعدتين التحويليتين اللتين سبق القول فيهما .

السبب الخامس للتحويل إلى المصدر المؤول :

وهو سبب مقيد ، ضابطه وقوع المصدر المؤول من (أن) والفعل شاغلا وظيفة المبتدأ ، إذ يستحيل التركيب حالتئذ من معنى خبرى ، إلى معنى طلبى، وبيان ذلك يذكره السهيلى مفسراً القول :أن تقوم خير من أن تقعد ،

١٨٠- سورة البقرة . آية ١٦٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيذكر أن المعنى الدلالى لهذا القول ليس الإخبار عن الحدث ، وإنما فيه معنى زائد : هو الأمر بذلك ، يقول : «فكأنك تأمره بأن يفعل ، ولست بمخبر عن الحدث ، بدليل امتناع ذلك فى المضى ، فإنك لا تقول : أن قمت خير من أن قعد ، ولا » أن قام زيد خير من أن قعد ، وامتناع هذا دليل على أن الحدث - يعنى المصدر الصريح - هو الذى يخبر عنه .وأما (أن) وما بعدها فإنها وإن كانت فى تأويل المصدر ، فإن لها معنى زائداً لا يجوز الإخبار عنه ولكنه يراد ويلزم ، ويؤمر به .فإن وجدتها مبتدأة ، ولها خبر فليس الكلام على ظاهره لما تقدم»[١٨١] . وهذا القول صريح فى أن المصدر المؤول من (أن) والفعل الشاغل لمقعد المبتدأ لايكون المعنى المروم منه هو الإخبار عن الحدث المفاد منه ، بل هناك سر دلالى آخر يتمثل فى الأمر بمضمونه ، ولنتأمل قوله تعالى: « وأن تعفوا أقرب للتقوى»[١٨٢] . فالمبتدأ فى الآية عبارة عن تركيب إسنادى مكون من الركن المصدرى (أن) والمسند (تعفو) ثم المسند إليه مورفيم واو الجماعة ، وهذا الركن الإسنادى محول من بنية تحتية إفرادية هو :العفو أقرب ، غير أنه لو جاء بالمصدر صريحاً هنا لكان المعنى على الإخبار على الحدث ، ولذا تم التحويل إلى التركيب المصدرى ، ليدل على أن المراد الأمر بذلك ، وقد تم التحويل بالقاعدتين التحويليتين : قاعدة الزيادة ، والتحويل المورفولوجى .

السبب السادس للتحويل إلى المصدر المؤول :

مايفيده المصدر المؤول فى بعض صوره من تقوية المعنى ، وتوكيد

١٨١- السهيلى : نتائج الفكر ١٢٩ ، ١٣٠ . وانظر ابن قيم الجوزية . بدائع الفوائد : ١٠٤/١ .

١٨٢- سورة البقرة . آية ٢٣٧ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مضمونه وتثبيته ، ويكون ذلك حال استعمال العنصر المصدرى (أنّ) المشددة أو المخففة عنها ، يؤكد ذلك ما جاء فى الأشباه والنظائر : «إنما دخلت (إن) على الكلام للتوكيد ... وهكذا (أن) المفتوحة ، إذ لولا إرادة التوكيد لقلت مكان قولك :بلغنى أن زيداً منطلق :بلغنى انطلاق زيد »[١٨٣] ولا يحتاج النص إلى مزيد من الإيضاح ، فقد ذكر صراحة أن إرادة التوكيد فى المصدر المؤوّل من (أنّ) هى العلة فى إيثاره التراكيب الوارد فيها ، ولنتأمل قوله تعالى : «يابنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين»[١٨٤] . فالعنصر المصدرى المحول مركب من الأداة (أنّ) + مسند إليه مورفيم ياء المتكلم + المسند ، وهو مكون بدوره من عملية إسنادية مركبة من المسند الفعل (فضل) والمسند إليه (فاعل) هو مورفيم تاء المتكلم+ ركن الفضلة ضمير المخاطبين (كم) ،ويمكن التمثيل للركن المصدرى فى بنيته السطحية بهذا المشجر:

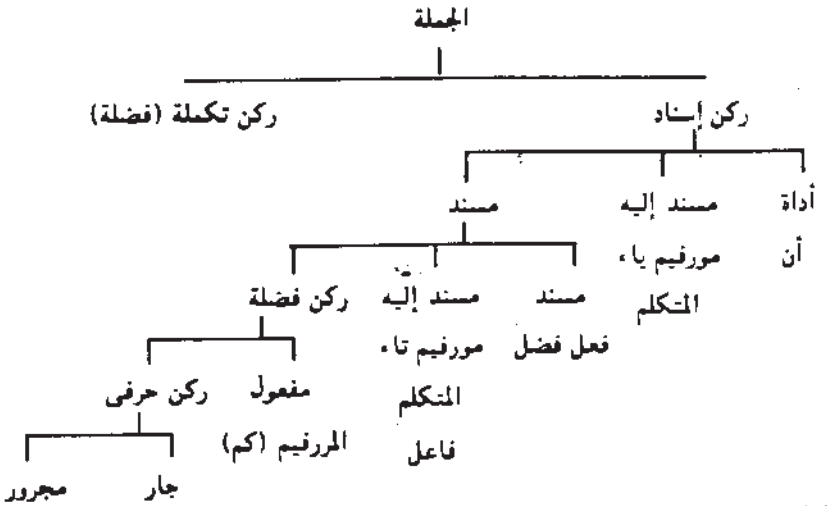

١٨٣- السيوطى . الأشباه والنظائر : ٢٩/١.

١٨٤- سورة البقرة . آية ٤٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد وقع هذا التركيب معطوفاً على المفعول به (نعمتي)، والبنية التحتية له هي بنية إفرادية فسرها الزمخشري بقوله : «وأني فضلتكم نصب عطفاً على نعمتي ، أي اذكروا نعمتي وتفضيلي»[١٨٥] ، ثم أجريت عليه عدة عمليات تحويلية ، حتى انتهى إلى ما هو عليه في البنية السطحية ، ويمكننا أن نذكر تلك العمليات في الآتي:

١ - تحويل بالزيادة ، حيث تم إدخال مورفيم التوكيد (أن)، نظرا لخلو المعنى العميق من عناصر التوكيد ، ثم أريد توكيد هذا الركن ، فزيد العنصر المصدري (أن) لذلك فصار التركيب مقدراً هكذا : اذكروا نعمتي وأني تفضيلي.

٢ - تحويل موقعي وظيفي ، وذلك بتغيير وظيفة المضاف اليه(ياء المتكلم) لتكون في موقع المسند إليه (اسم أن) ، وتقديم هذا العنصر اللغوي إنما يكون للعناية والاهتمام ، فالعنصر الذي يعنى به هوالعنصر المقدم ، فصار التركيب مقدراً هكذا : أني تفضيل .

ثم إنه لما كان عنصر المسند (اسم حدث) وأسماء الأحداث لاتقع في تلك الوظيفة إلا في مواطن خاصة فقد تم تحويله تحويلا مورفولوجيا إلى لفظ يصح إسناده إلى المسند إليه ويكون ذلك وفق كثير من الاختيارات الملائمة للمعنى المراد ،إذ يمكن تحويله إلى فعل ماض ، كما في الآية ، أو مضارع ، فيقال : أني أفضلكم، أو اسم فاعل، فيكون : أني مفضلكم وغير ذلك من الصيغ المتعددة التي يمكن أن تشغل هذاالموقع بصورة عامة،كاسم المفعول،وصيغ المبالغة ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ،

١٨٥- الزمخشري . الكشاف : ١/ ١٣٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولاشك أن كل صيغة من ذلك سوف تضفى معنى دلالياً خاصاً بها ، من مبالغة ،أو دوام وثبوت، أو تفضيل وكلها صور سوف تضفى على المصدر المؤول ظلالا دلالية ، لا تكون فى المصدر الصريح .

السبب السابع : من أسباب التحويل إلى المصدر المؤول : قصور فى المصدر الصريح لشغل الوظيفة النحوية:

إذا كان المصدر الصريح كلمة مفردة لفظا ومعنى فإن المصدر المؤول جملة أوقعها الحرف المصدرى فى مواقع الكلمات المفردة ، غير أن بعضاً من تلك المواقع لا تكفيه اللفظة المفردة ، بل يحتاج إلى ركن إسنادى كامل ، وهنا يأتى دور المصدر المؤول الذى يشغل تلك المواقع التى لا يكتفى فيها بالمصدر الصريح لبنيته الإفرادية ، ومن ثم يكون سبب التحويل إلى المصدر المؤول هو قصور فى المصدر الصريح منعه من شغل تلك الوظيفة ويكون ذلك فى المصدر المؤول الذى يسد مسد مفعولى (ظن) ،أو إحدى أخواتها ، ومعلوم أن الخصائص التركيبية لهذين المفعولين كونهما مركبين من ركن إسنادى قائم بذاته ، جرى فيه ذكر الحديث ، والمحدث عنه – كما يقول الإمام عبد القاهر : «إذا قلت علمت أن زيدا منطلق ، جرى فى صلتها ذكر الحديث والمحدث عنه ، فتصير كأنك قلت : علمت زيدا منطلقا ،وهذا كلام قد يغلط من ينظر إلى ظاهره ،فيتوهم أنهم جعلوا (أن) فى حكم اللغو مثلا ، حيث أجروا علمت أن زيدا منطلق مجرى علمت زيدا منطلقا ، وليس كذلك ، فغرضهم أن الحديث والمحدث عنه إذا جرى ذكرهما فى صلتها دل ذلك أن المقصود الإخبار بعلم زيد منطلقا ،وإذا ثبت ذلك علم أن المراد والمعنى علمت انطلاقه واقعا موجودا ، فلم يحتج إلى ذكره ،وإذا قلت علمت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انطلاقه لم يدل على ذلك ، إذ لا يكون معه حديث ومحدث عنه»[186].

وواضح من هذا النص أن التركيب المحول محتاج إليه برمته ، ومن ثم قصرت خطى المصدر الصريح عن القيام بشغل تلك الوظيفة ،لأنه على حد قول الجرجانى لا يكون معه حديث ومحدث عنه ولعله من أجل ذلك ضعف رأى الأخفش عندما زعم أن المصدر المؤول سد مسد المفعول الأول ، وأن الثانى محذوف ، وقد رد عليه الجمهور بألا حاجة إلى ذلك «لأن وجود النسبة فيما بعد (أنّ) كاف فى تعلق العلم أو الظن به»[187] .

وثمة فرق تركيبى بين هذه الأفعال التى تتسم بسمة (+حالة) ، إذ إن هذه تعمل فى الأسماء المفردة ، ولا تعمل فى الجملة الإسنادية فمن ثم قالوا : علمت زيدا منطلقا ، وزيد - علمت منطلق ، ولم يقولوا كرهت زيدا آخاك ، لأنه لا متعلق لكرهت وسائر الأفعال بالحديث ،وإنما متعلقها بالأسماء»[188].

وإذن فالبنية التحتية لمثل قولنا : علمت أن زيداً منطلق هى : علمت زيداً منطلقاً ويمكن التمثيل لها بالمشجر التالى :

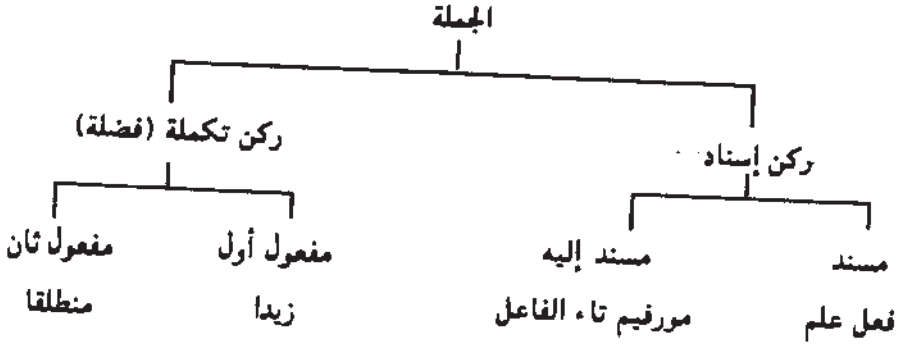

١٨٦- الجرجانى . كتاب المقتصد : ١/٤٧٨، ٤٧٩ .

١٨٧- السمين الحلبى . الدر المصون : ١/١٦٥.

١٨٨- السهيلى . نتائج الفكر : ٣٤٨.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وإذا تأملنا العلاقة الوظيفية بين المفعولين نلفيها بمعزل عن الفعل مركبة من ركن إسنادى يمكن التمثيل له بالآتى :

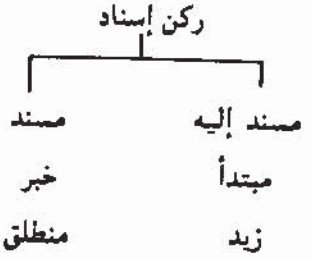

تحول هذا التركيب من بنيته العميقة إلى البنية السطحية بقاعدتين من قواعد التحويل :

١ - قاعدة الزيادة بزيادة العنصر المصدرى (أنّ) لتوكيد المعنى العميق الذى كان خالياً من التوكيد .

٢ - تغيير مورفولوجى للحركة الإعرابية فى المسند من العلامة الخاصة بالنصب إلى العلامة الخاصة بالرفع لتتفق مع النظام القاعدى للعنصر المصدرى (أنّ) .

السبب الثامن : من أسباب التحويل إلى المصدر المؤول : التمنى الذى هو هاجس فى القلب يصاحبه شعور باستحالة تحقق الحدث :

يتمثل ذلك فى العنصر المصدرى (لو) ، إذا كان مسبوقاً بالفعل (ود) ومضارعه ، إذ يضفى هذا العنصر المصدرى ظلالاً دلالية على الفعل ، تجعل مدلوله مطلباً عسير المنال .ولنتأمل قوله تعالى : «يود أحدهم لو يعمر ألف سنة»[١٨٩] ، والعنصر المصدرى فى الآية هو (لو) ومدخولها ،

١٨٩- سورة البقرة . آية ٩٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وهى محولة عن اسم حدث ضمنى فى البنية العميقة تقديره : يود أحدهم تعمير ألف سنة يمكن التمثيل له بالمشجر الآتى :

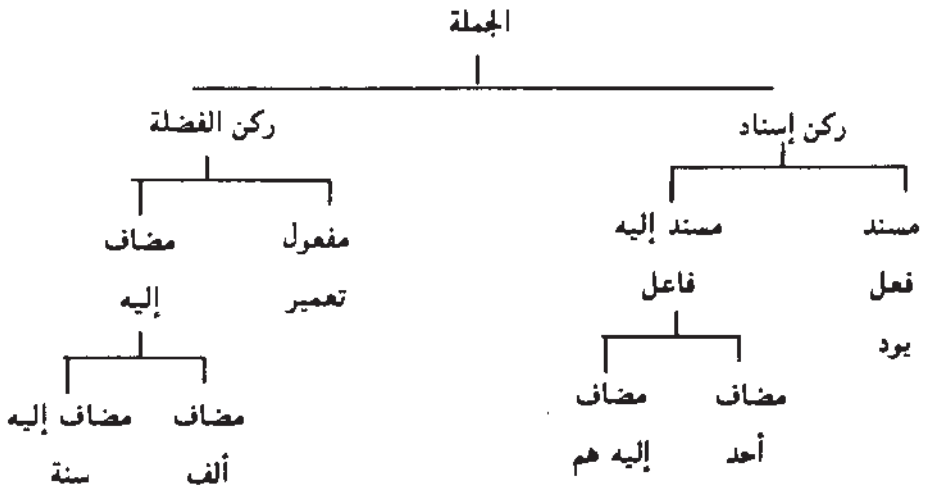

ومن الواضح أن ركن الفضلة فى البنية العميقة عبارة عن بنية إفرادية هى بنية الحدث المفاد من المصدر الصريح ، تحولت فى الملفوظ السطحى للآية إلى صورة تركيبية مكونة من مسند هو الفعل (يعمر) ، ومسند إليه (الضمير المستتر) .وقد تم التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية باتباع قاعدتين من قواعد التحويل ، هما :

١- قاعدة التحويل المورفولوجى من بنية الحدث الإفرادية إلى بنية الفعل .

٢- قاعدة الزيادة بإدخال العنصر المصدرى (لو) . وبهاتين القاعدتين التحويليتين انتهى التركيب إلى ما هو عليه فى البنية السطحية .

والتفسير الدلالى للتحويل إلى هذا العنصر المصدرى مقيد بضابط دلالى للفعل (ود) ، فدلالته مقيدة بمعنى التمنى ، وقد سبق القول بأن (ودّ) التى بمعنى (أحبّ) لا تقع بعدها (لو) المصدرية ، ونحن نعلم أن التمنى لا يكون فى الشىء الممكن حدوثه ، ولذا ناسب هذا التفسير الدلالى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للفعل المعنى الثابت للعنصر المصدرى (لو) فقد نصوا على أن التمنى من المعانى الدلالية التى يؤديها هذا العنصر ، ومعنى ذلك أنه قد عبر عن معنى التمنى فى التركيب بعنصرين لغويين :الفعل ، والعنصر المصدرى ، وفى ذلك دلالة واضحة على أن المتمنى قد يئست نفسه تماماً من تحقق ما يتمناه حتى استعان فى التغلب على ذلك بالفعل ، والعنصر المصدرى .والتعبير بـ (لو) هنا يختلف عن التعبير بـ (أن) فى قوله تعالى :

«أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب»[١٩٠]

فعلى الرغم من تساوى التركيبين فى البنية السطحية إلا أن الفروق الدلالية بينهما واضحة ، فالفعل "يود "فى الآية الثانية بمعنى "يحب " والآية لا يقصد بها المتمنى ، ولذا لم تأت (لو) ، وعدم الإتيان بها جعل ركن الفضلة مطلباً قريب التحقق، ويترقب حدوثه، ولو جاء بها لكان فعل الودادة واقعاً على شىء عسير المنال

السبب التاسع :- من أسباب التحويل إلى المصدر المؤول :تأكيد العلة :

ويتمثل ذلك فى العنصر المصدرى (كى) الذى يفيد إلى جانب تأكيد العلة معنى دلالياً آخر يتمثل فى تخليص الفعل بعدها من الصلاحية للدلالة على الحال أو الاستقبال ، فتصرفه للدلالة على الاستقبال ، ومن أجل ذلك جوز النحاة نصبها للفعل المضارع بعدها ، إذ هى فى ذلك تشبه العنصر المصدرى (أن) .

ففى مثل قولنا :ذاكرت لكى أنجح نرى أن التركيب المصدرى المحول مكون من ركن إسنادى عبارة عن الفعل وفاعله المستكن فيه ، وهو بدوره

١٩٠- سورة البقرة . آية ٢٦٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محول من معنى إفرادى عميق تقديره :ذاكرت للنجاح ، وهو - كما نرى - تركيب مصدرى أحادى الدلالة ، تحول فى البنية السطحية إلى بنية إسنادية تحولت بوجود العنصر المصدرى إلى بنية ثنائية الدلالة ، كان للعنصر الزمنى فيها وجود ملحوظ ، إلى جانب التأكيد الذى أفاده دخول (كى) لمفهوم العلة المفاد سلفاً من لام التعليل ، يحكى صاحب الدر[١٩١] عن الكوفيين أن ظهور (كى) بعد اللام إنما هو على سبيل التأكيد .وقد سبق أن عرضنا عدم موافقتنا لأصحاب الرأى القائل بأن (كى) المصدرية لا تعليل فيها بحجة أن حرف التعليل لا يدخل على مثله ، إذ لا أجد مانعاً من ذلك . والاستعمال اللغوى خير مؤيد لنا ، إذ دخل حرف النفى على مثله بغرض توكيده ، فلم لا يدخل حرف التعليل على حرف تعليل آخر بغرض توكيده .

وقد تم التحويل باتباع قاعدتى التحويل المورفولوجى من بنية المصدر إلى بنية الفعل المضارع .وقاعدة الزيادة ، وذلك بزيادة العنصر المصدرى (كى) .الذى صرف دلالة الزمن فى الفعل إلى الاستقبال ، كما أضفى معنى دلالياً ، هو زيادة التوكيد المفهوم من العنصر التعليلى اللام .

السبب العاشر : من أسباب التحويل إلى المصدر المؤول: تأكيد فعلى الإرادة والأمر :

يتمثل ذلك فى العنصر المصدرى اللام مقيداً بضابط تركيبى ، هو وقوعه بعد الفعلين أراد ، وأمر ، ومشتقاتهما ، ويمكن التمثيل لذلك بقوله تعالى : « ولكن يريد ليطهركم » فالتركيب المحول فى الآية هو قوله : ليطهركم ، وقد شغل موقع المفعول للفعل : يريد ، وهذا التركيب المصدرى

١٩١- السمين الحلبى . الدر المصون : ٢٦٧/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مكون من عنصر إسنادى مركب من العنصر المصدرى اللام + المسند ، وهو الفعل (يطهر) + المسند إليه هو الضمير المستكن فى الفعل + الفضلة ضمير المخاطبين (كم) ، يمكن التمثيل له بالمشجر التالى :

وهذا العنصر الإسنادى محول عن بنية إفرادية أحادية الدلالة ، تقديره : يريد تطهيركم غير أن هذا المعنى التحتى قد خلا تماماً من عناصر التوكيد . إذ لم يفد إلا جانب الحدث وحده ، فجاء التركيب المحول ليؤدى معنى الحدث مؤكداً باللام ، وقد أوثرت اللام دون غيرها من الحروف المصدرية كـ (أن) ، لما تؤديه من معنى دلالى ، هو إرادة التأكيد لمدخولها ، أشار إلى ذلك علماؤنا القدامى ، فهذا أبوحيان يسوق عن ابن عطية قوله " :واللام فى قوله :ليطفئوا ـ يشير إلى قوله تعالى :يريدون ليطفئوا نور الله ـ لام مؤكدة دخلت على المفعول ، لأن التقدير « يريدون أن يطفئوا »[١٩٢] ، كما أشار إلى ذلك الزمخشرى[١٩٣] عندما نص على أن اللام جاءت مؤكدة لإرادة التبيين ، كما زيدت فى لا أبا لك لتأكيد إضافة الأب .

١٩٢- أبوحيان النحوى . تفسير البحر المحيط :٨/٢٦٢.

١٩٣- الزمخشرى. الكشاف :١/٥٠١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وثمة تفسير دلالى آخر هو الاستيثاق لمعنى الاستقبال الذى يفيده الفعلان: أراد ، وأمر ، إذ إنهما يُطلبان فى المستقبل - على حد قول الفراء الذى سقناه عنه آنفا - وقد تم التحويل باتباع القاعدتين المشار إليهما آنفا ، وهما قاعدة التحويل المورفولوجى من بنية المصدر إلى بنية الفعل ، وقاعدة الزيادة ، إذ زيد العنصر المصدرى اللام لتأكيد مدخول فعلى الإرادة والأمر .

والآن وبعد هذا العرض الوافى لتراكيب المصدر المؤول يمكننى أن أقرر بمزيد من الاقتناع أن تلك التراكيب قد قامت بدور دلالى قصرت خطى المصدر الصريح الأحادى الدلالة عن أدائه ، هذا من جانب ، ومن جانب ثان اتضح لنا أن تنوع الحروف المصدرية لم يكن عشوائيا ، وإنما كان لأن كل عنصر مصدرى من تلك العناصر صاحبه معانٍ دلالية خاصة به لا يتمكن من أدائها غيره من العناصر المصدرية الأخرى، وذلك - بلا شك - كان من الأسباب التى أدت إلى تنوع تلك الحروف المصدرية .

يبقى فى نهاية البحث أن أشير إلى ظاهرة تركيبية خاصة بالعنصرين (أنْ) الثنائية الوضع ، و (أنّ) المشددة ، تلك هى جواز حذف الحرف الخافض معهما ، دون المصدر الصريح ، يذكر الزجاج جواز أن تقول: «جئت لأن تضرب زيدا ، وجئت أن تضرب زيدا ، فحذفت اللام مع (أن) ، ولو قلت : جئت ضرب زيد ، تريد لضرب زيد لم يجز[١٩٤] ».

ولا شك أننا مصادفون لا محالة مواقف متباينة من النحاة ، سواء فى ذلك خلافهم حول العلة من وراء الحذف أصلا ، أو حول محل المصدر المؤول بعد الحذف. ومن ناحية هذه النقطة الثانية نجدهم فريقين : فريقا - ذهب إلى

١٩٤- الزجاج . معانى القرآن وإعرابه : ١/٢٩٨، ٢٩٩ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن محله النصب مستدلا على ذلك بأن العرب كانت تنصب مدخول حرف الجر بعد حذفه ، كما فى قول الشاعر :

تمرون الديار ولم تعوجوا كلامكمُ علىّ إذن حـــرا مُ

ولا يجوز عند هؤلاء الجر إلا فى نادر شعر ، كقوله :

إذا قيل أى الناس شر قبيلـــــة أشارت كليبٍ بالأكف الأصابعُ

وفريقا - ذهب إلى أن محله الجر ، كأن الحرف موجود مستدلا على ذلك بقول الشاعر :

وما زرت ليلى أن تكون حبيبة إلى ولا دينٍ بها أنا طالبـــــه

فعطفُ (دين) بالجر على محل (أن تكون) دليل على أنه مجرور [١٩٥] .

ولا نود أن نقف مع فريق ضد الآخر ، والرأى جواز الرأيين كليهما ما داما قد استندا إلى كلام العرب .

أما النقطة الثانية التى تباينت فيها أقوالهم فقد كانت متعلقة بالعلة من وراء هذا الحذف ، فالزجاج يذكر أن ذلك راجع إلى جانب دلالى فى (أنْ) الناصبة ، هو دلالتها على الاستقبال ، يقول :«وإنما صلح الحذف مع(أنْ) (أن)، لأن (أ نْ) تدل على الاستقبال ، فكأنها عوض من المحذوف»[١٩٦] ، وامتنع الحذف عنده فى قولك :جئتك ضرب زيد، حيث لم يدل الضرب على معنى الاستقبال[١٩٧]. وليته بين لنا سبب الحذف مع (أ نّ) المشددة ، أو

١٩٥- نقل الخلاف الزجاج فى معانى القرآن وإعرابه : ٢/ ٤٥٠، العكبرى فى التبيان :١٠٧/١، والسمين الحلبى فى الدر المصون :١٥٨/١.

١٩٦- الزجاج . معانى القرآن وإعرابه :٤٦٥/٢.

١٩٧- السابق : ٢٩٩/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(أنْ) إذا كان مدخولها ماضيا ، لكنه لم يفعل .

وعند السمين علة أخرى لهذا الحذف تعود إلى أن هذين العنصرين قد طالا بصلتهما[١٩٨] . وثمة رأى قد ساقه السهيلى استند فيه إلى التركيب ذاته ، إذ ذكر أن الحذف إنما جاز ، لا لكونه استطال بالصلة ، لأن الأسماء الموصولة تستطيل بالصلة ، ولا يجوز حذف حرف الجر معها إذ لا نقول: هربت الذى عندك ، أى من الذى عندك " .مع أننا نقول :خرجت أن يرانى زيد ، وفررت أن يرانى عمرو ، أى من أن يرانى ، وفى هذا دلالة على أن العلة فى الحذف غير ما قالوا ، وهى أن (أنْ) مع الفعل ليس باسم محض ، وإنما هو فى تأويل اسم ، والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر ، فلابد إذن من إظهار حرف الجر إذا جئت به ، لأنه اسم قابل لدخول الخوافض عليه ، وأما (أن) فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ، ولا على الفعل المتصل به ، فلا تقول :هو اسم مخفوض ، وإنما هو فى تأويل اسم مخفوض ... فإذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرا جاز ، لأنه فى تأويل اسم ، وإذا أضمرت الحرف جاز أيضا التفاتا إلى أن الحرف الجار لا يدخل على الحرف ولا على الفعل فحسن إسقاطه مراعاة للفظ (أن) وللفظ الفعل"[١٩٩] .

ومن الواضح أن هذا الرأى يختلف عن سابقيه ، ولذا فأنا معه ، لأنه انطلق فى تفسيره للظاهرة من منطلقات لغوية بحتة ، فحرف الجر يجب إظهاره مع الاسم لأنه من علاماته ، أما عندما يكون مدخوله ليس اسما

١٩٨- السمين الحلبى : الدر المصون : ١/١٥٨.

١٩٩- السهيلى الروض الأنف :١/٢٠٨. وانظر د. حامد محمد أمين شعبان . البحوث اللغوية عن الروض الأنف ص٧٤ . القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ط ١، ١٤٠٤ هـ ،١٩٨٤م .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

محضا ، وإنما هو فى تأويل اسم فالأمر مختلف ، إذ يمكن أن ينظر إلى لفظه فلا ندخل الحرف ، لأن حرف الجر لا يدخل على حرف ، ويمكن أن يراعى معناه فندخل الحرف ، لأنه حالتئذ فى تأويل الاسم .فإذا أضفنا إلى ماذكره السهيلى علة أخرى تعود إلى أنّ فى الحذف اختصاراً للجهد اللغوى المبذول من المتكلم ، وهو مطلب فى حد ذاته ، ورغبته فى إيصال المعنى ، دون انتظار لهذا الحرف المحذوف أمكننا أن نخرج بعلة أخرى تضاف إلى ما ذكره السهيلى .

وبعد فيمكننى أن أقرر بأن البحث قد درس التراكيب التى اصطنعتها اللغة للتعبير بالمصدر المؤول كاشفا عن خصائصها اللغوية ، وموضحا أنماطها التركيبية ، كما حاول ضبط صورها ، وتحليل مكوناتها المباشرة تحليلا كشف عن عناصرها اللغوية ، كما أبرز السمات المميزة للأفعال التى تسبق العناصر المصدرية مشكلة معها تراكيب لغوية ، يشغل المصدر المؤول فيها موقع الفاعل المحقق للحدث ، أو المفعول الذى وقع عليه الحدث - إن كان ثمة سمات فى ذلك - كما اهتم البحث بإظهار الدواعى الدلالية التى أوجبت الإتيان بعنصر مصدرى بعينه ، وذلك لإيمان صاحب هذا البحث بأن تعدد صيغ العناصر المصدرية لا يمكن أن يكون عشوائيا ، بل كان لدواع دلالية خاصة بهذا العنصر المصدرى بعينه .

كما توقف البحث أمام عشرة أسباب كانت وراء العدول عن المصدر الصريح ، على الرغم من بساطته تركيبا ودلالة إلى المصدر المؤول الذى هو في الأصل جملة تحولت بتصدر أحد العناصر المصدرية لها إلى التأويل بالمفرد ، كما نص فى كل مرة على كيفية هذا العدول ، أو لنقل كيفية التحويل إلى هذا المصدر المؤول باتباع قواعد التحويل وقوانينه التى نصت

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عليها المدرسة التحويلية، ولم يكتف بذلك بل كانت له وقفة متأنية أمام الأسرار الدلالية التى ذكرت فى مواقعها من هذا البحث .

ولي أمل فى الله أن أكون قد أصبت الهدف ، وإن كانت الأخرى فحسبى الاجتهاد .

والله من وراء القصد .

د. طه محمد الجندى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المصادر والمراجع :

* الأزهرى ، الشيخ خالد :

شرح التصريح على التوضيح . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . دون تاريخ .

* الإستراباذى ، رضى الدين محمد بن الحسن :

شرح الكافية . بيروت . / دار الكتب العلمية . دون تاريخ .

* الأنبارى ، الإمام أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبى سعيد :

أسرار العربية . تحقيق محمد بهجة البيطار . دمشق . مطبوعات المجمع العلمى . دون تاريخ .

الإنصراف فى مسائل الخلاف . تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد . بيروت . دار الجيل . دون تاريخ .

* الأنصارى أبو زيد :

النوادر فى اللغة . بيروت . دار الكتاب العربى ط ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

* الجرجانى ، الإمام عبد القاهر :

دلائل الإعجاز فى علم المعانى ، تصحيح الشيخ محمد عبده والشنقيطى . جدة . مكتبة العلم . ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

كتاب المقتصد فى شرح الإيضاح . تحقيق الدكتور كاظم . بحر المرجان . العراق . منشورات وزارة الثقافة والإعلام سنة ١٩٨٢م

* الجندى ، د. أحمد علم الدين :

من تراث لغوى مفقود . مكة المكرمة . مطبوعات جامعة أم القرى . ١٤١٠ هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* الجندى ، د. طه محمد :

ظاهرة المطابقة النحوية فى ضوء الاستعمال القرآنى . رسالة دكتوراه بدار العلوم .

كتاب اللامات للهروى : تحقيق ودراسة فى ضوء لامات القرآن الكريم رسالة ماجستير بدار العلوم .

* الجوزية ، الإمام شمس الدين محمد بن القيم :

بدائع الفوائد . تحقيق بشير محمد عون . الرياض . مكتبة المؤيد ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م .

* حسان . د.تمام :

- اللغة العربية معناها ومبناها . الهيئة المصرية العامة للكتاب ط١٢ ١٩٧٩م .

* الحسانى ، أحمد :

السمات التفريعية للفعل فى البنية التركيبية . مقاربة لسانية . الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية ، ١٩٩٣م .

* ابو حيان ، أثير الدين :

تفسير البحر المحيط ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ط ٢ ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م .

* الخضرى ، الشيخ محمد :

حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . دون تاريخ .

* الراجحى ، د. عبده :

النحو العربى والدرس الحديث : بحث فى المنهج . بيروت . دار

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٧٩م .

*** الزجاج ، أبو إسحاق وإبراهيم بن السرى :**

معانى القرآن وإعرابه . تحقيق الدكتور عبدالجليل عبده شلبى ، القاهرة ، دار الحديث . ط١ ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .

*** زكريا ، د. ميشال :**

مباحث فى النظرية الالسنية وتعليم اللغة . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع . ط٢ ١٤٠٥هـ . ١٩٨٠م .

*** الزمخشرى ، الإمام محمود بن عمر :**

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل ، ترتيب وضبط مصطفى حسين أحمد ، بيروت . دار الكتاب العربى . ط٣ ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

*** السمين الحلبى ، الإمام شهاب الدين أبو العباس بن يوسف :**

الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون ، تحقيق الشيخ على محمد معوض وآخرين . بيروت . دار الكتب العلمية . ط ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م .

*** السهيلى ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله :**

نتائج الفكر فى النحو . تحقيق الدكتور محمد إبراهيم البنا ، السعودية . دار الرياض للنشر والتوزيع . ط٢ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

*** سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر :**

الكتاب . تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

* السيوطى ، الإمام جلال الدين :
الأشباه والنظائر . القاهرة . ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع . ط٣ ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م .

* شعبان ، د. حامد محمد أمين :
البحوث اللغوية فى الروض الأنف . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م

* الشهاب:
حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى ،. بيروت . دار صادر . دون تاريخ .

* الصبان :
حاشية الصبان على شرح الاشمونى . القاهرة . دار إحياء الكتب العربية . دون تاريخ .

* العكبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين :
التبيان فى إعراب القرآن . تحقيق على محمد البجاوى . القاهرة . عيسى البابى الحلبى وشركاه . ، دون تاريخ .

* الفراء ، أبو زكريا يحى بن زياد :
معانى القرآن . تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار . القاهرة . الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٥٥م .

* القالى ، أبو على :
الأمالى .

* المتوكل ،د.أحمد :
من البنية الحملية الى البنية المكونية . الدار البيضاء ، دار الثقافة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

للنشر والتوزيع ، ط ١ ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م .

* ناصف ، الأستاذ على النجدى :

من قضايا اللغة والنحو . القاهرة . مكتبة نهضة مصر ١٣٧٦هـ ، ١٩٥٦م .

* النحوى ، أبوعلى :

المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات . تحقيق صلاح الدين عبد الله السنكاوى . بغداد . مطبعة العانى ١٩٨٣م .

* ابن هشام . أبو محمد عبد الله جمال الدين :

مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب . تحقيق . محمد محى الدين عبد الحميد . دون تاريخ .

* ياقوت . د، محمود سليمان :

قضايا التقدير النحوى بين القدماء والمحدثين . القاهرة ، دار المعارف ١٩٨٥م .

* ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن على :

شرح المفصل . بيروت عالم الكتب . دون تاريخ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

رقم ايداع

١٦٦٥١ / ١٩٩٩

رقم دولى

977- 222- 183- 7

دار الهانى للطباعة

٤٤٤٢٠٥٥